حجاجية الخطاب الشعري

بين الفرزدق وجرير

(قراءة جديدة في قصيدتين)

إعداد

د. عبد الحافظ عبد المنصف خليف

أستاذ الأدب والنقد المساعد

فى كلية اللغة العربية – فرع جامعة الأزهر

بالمنوفية

حجاجية الخطاب الشعري بين الفرزدق وجرير

(قراءة جديدة في قصيدتين)

عبد الحافظ عبد المنصف خليف

قسم الأدب والنقد ، فى كلية اللغة العربية – فرع جامعة الأزهر بالمنوفية.

الملخص :

هذا البحث عنى بدراسة قصيدتين من فن النقائض بين الفرزدق وجرير عن طريق قراءة مختلفة في ضوء المنهج التحليلي مع بعض إجراءات المنهج الإحصائي، معتمدا على الموازنة الفنية بين القصيدتين، للوقوف على أوجه التشابه والتمايز بينهما في عناصر الشعر المختلفة بسبر أغوار النص الأدبي لاستكناه أسراره، واستنتاج خصائصه الموضوعية والفنية، والنقائض مبارزة عقلية وتحاور شعري مائز يعكس الوجه المشرق للشعر العربي في العصر الأموي، ومسارات الثقافة، وألوان الحضارة، والتطور التي استجدت فيه، وهو أحد فنون الإبداع الشعري الذي شهد بداياته في العصر الجاهلي، ووجد في عصر صدر الإسلام، لكنه نما وازدهر وتطور، وصار فنا شعريا قائما بذاته في عصر بني أمية، وهو يعد من قبيل المناظرات الشعرية وإليه يرجع الفضل في تسجيل أيام العرب، ووقائعهم، وأنسابهم، وحكاياتهم، وصفاتهم، وطرائق معيشتهم، وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، في ذلك العصر، وهو وإن كان من الهجاء غير أنه يمتاز عنه من ناحية الشكل فالمراد مناقضة القول أي التكلم وهو أن يهجو شاعر شاعرا آخرا، أو أن يفتخر بنفسه أو بقومه أمامه بقصيدة على بحر معين وقافية محددة وروي ما، فيرد عليه الشاعر الآخر بقصيدة في الموضوع وعلى البحر والروي والقافية التي نظم عليه الشاعر الأول

قصيدته، ولكن يضمنها هجاءا معاكسا، وفخرا يلغي فيه فخر الشاعر الأول بنفسه وينفيه، والنقائض من أحسن النماذج تمثيلا للخطاب الحجاجي الشعري شعر النقائض، المبني على النّقْض وهو" اسم البناء المنْقُوضِ إذا هُدِم، والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة، وخطاب النقائض خطاب حجاجي، يقوم منهجه على المناظرة ليس لارتباط المناظرة بالحجاج، لكن لكونها تقوم على صناعة الحجة، التي هي العنصر المنتج لخطاب المناظرة، من خلال انتاجها المتتالي في النص والقيام بتنويعها من موقف إلى آخر، ومراوغة الآخر بتقديمها المتعدد والمختلف.

الكلمات المفتاحية : حجاجية الخطاب الشعري – الفرزدق – جرير– قراءة جديدة – قصيدتين.

Pilgrims of the poetic discourse between Al-Farzdaq and Jarir

(New reading in two poems)

Abdul Hafiz Abdul Moncef Khalif
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University Branch in Manofia.

Abstract:
This research was concerned with the study of two poems of the art of contradictions between Al-Fardaq and Jarir by a different reading in the light of the analytical approach with some procedures of the statistical method, based on the technical balance between the two poems, to identify the similarities and distinctions between them in the different elements of poetry by exploring the depths of the literary text To draw his secrets, to deduce his objective and artistic characteristics, and to the opposites is a mental duel and a poetic dialogue that reflects the bright face of Arab poetry in the Umayyad era, the paths of culture, the colors of civilization, and the development that has emerged in it, which is one of the art of poetic creativity that witnessed its beginnings In the age of the ignorant, it was found in the era of the bosom of Islam, but it grew and flourished and developed, and became a self-contained poetic art in the era of the sons of Umayyad, which is considered as a poetic debate and to him thanks to the recording of the days of the Arabs, their facts, their genealogies, their stories, their recipes, and their ways of life And their manners, customs and traditions, in that era, which, although it is a satire, but it distinguishes it from it in terms of form, what is meant to contradict the saying is to speak, which is to cheer another poet, or to be proud of himself or his people in

front of him with a poem on a certain sea. The other poet responds with a poem in the subject and on the sea, the nari and the rhyme on which the first poet organized his poem, but guaranteed by a counter-narrative, and a pride in which he eliminates the pride of the first poet himself and denies it, and the contradictions of the best models representing the pilgrim speech. The controversy is the argument of the argument, the argument is debate and argument, and the speech of the opposites is a pilgrim's speech, whose approach is based on the debate not because of the association of the debate with the pilgrims, but because it is based on the making of the argument, which It is the product of the debate speech, through its successive production of the text and its diversification from one position to another, and the evasiveness of the other by its multiple and different submissions.

Keywords: The pilgrims of the poetic discourse - Al-Farazdaq - Greer - New Reading - Two poems.

المقدمة

النقائض مبارزة عقلية وتحاور شعري مائز يعكس الوجه المشرق للشعر العربي في العصر الأموي، ومسارات الثقافة، وألوان الحضارة، والتطور التي استجدت فيه.

وهو أحد فنون الإبداع الشعري الذي شهد بداياته في العصر الجاهلي، ووجد في عصر صدر الإسلام، لكنه نما وازدهر وتطور، وصار فنا شعريا قائما بذاته في عصر بني أمية، على أيدي ثلاثة فحول من شعراء هذا العصر: هم الفرزدق وجرير والأخطل، ولكن نقائض الفرزدق وجرير تعد الأكثر شهرة و انتشارا وعمقا وخلودا على مر العصور.

وهو يعد من قبيل المناظرات الشعرية وإليه يرجع الفضل في تسجيل أيام العرب، ووقائعهم، وأنسابهم، وحكاياتهم، وصفاتهم، وطرائق معيشتهم، وأخلاقهم، وعاداتهم وتقاليدهم، في ذلك العصر.

وهو وإن كان من الهجاء إلا أنه يمتاز عنه من ناحية الشكل فالمراد مناقضة القول أي التكلم وهو أن يهجو شاعر شاعرا آخرا، أو أن يفتخر بنفسه أو بقومه أمامه بقصيدة على بحر معين وقافية محددة وروي ما، فيرد عليه الشاعر الآخر بقصيدة في الموضوع وعلى البحر والروي والقافية التي نظم عليه الشاعر الأول قصيدته، ولكن يضمنها هجاءا معاكسا، وفخرا يلغي فيه فخر الشاعر الأول بنفسه وينفيه.

ومن أحسن النماذج تمثيلا للخطاب الحجاجي الشعري شعر النقائض، المبني أساسا –كما تدل عليه التسمية– على النّقْض وهو" اسم

البناء المنقُوضِ إذا هدم. والجدل هو مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة.

وخطاب النقائض خطاب حجاجي، يقوم منهجه على المناظرة ليس لارتباط المناظرة بالحجاج، لكن لكونها " تقوم أساسا على صناعة الحجة، فالحجة هي العنصر المنتج لخطاب المناظرة، من خلال انتاجها المتتالي في النص والقيام بتنويعها من موقف إلى آخر، ومراوغة الآخر بتقديمها المتعدد والمختلف. "(١)

والمناظرة كما جاء في لسان العرب "أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه...والتناظر: التراوض في الأمر. ونظيرك الذي يراوضك وتناظره...وناظره من المناظرة...ناظرت فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة. (٢)

" وتهدف دراسة النقائض إلى الكشف عن أوجه التطور العقلي الذي أصاب الشعر في هذه الفترة وقراءة الأحوال الثقافية والحضارية من خلال هذا الشعر.

وهذا البحث عنى بدراسة قصيدتين من فن النقائض بين الفرزدق وجرير عن طريق قراءة مختلفة في ضوء المنهج التحليلي مع بعض إجراءات المنهج الإحصائي، معتمدا على الموازنة الفنية بين القصيدتين، للوقوف على أوجه التشابه والتمايز بينهما في عناصر الشعر المختلفة

(١) عبد الله العشي، زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة، د.ط، دار الأمل، تيزي وزو، ٢٠٠٥ ص٤١ .

(٢) لسان العرب: نظر

بسبر أغوار النص الأدبي لاستكناه أسراره، واستنتاج خصائصه الموضوعية والفنية.

أما الأولى فللفرزدق ومطلعها:

أَقُولُ لِصَاحبَيّ مِن التّعَزّي، *** وَقَدْ نَكّبْنَ أكْثِبَةَ العُقَارِ

وأما الثانية فلجرير ومطلعها:

سمتْ لي نظرةٌ فرأيتَ برقاً *** تهاميا فراجعني ادّكاري

وقد اشتمل هذا البحث على بعد هذه المقدمة من فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: المصطلح والمبدعان، وفيه بينت مفهوم النقائض، وترجمت للفرزدق وجرير.

والفصل الثاني بعنوان "الخصائص الموضوعية والفنية ، يليها الخاتمة ، ثم ثبت المصادر والمراجع.

والله الموفق ،،،

والأخلاق، دعت لتشكل شعر النقائض منذ طليعة العصر الجاهلي.

وفي عصر صدر الإسلام واصلت النقائض الشعرية مسيرتها ولم تسقط مع ما أسقطه الإسلام من عادات الجاهليين وطباعهم القبلية، غير أنها أخذت مسارا آخر يتفق مع الطبائع الإسلامية فصارت مباريات ومناظرات يقودها شعراء الإسلام من أمثال كعب بن مالك وحسان بن ثابت ضد شعراء قريش، حيث أخذت النقائض في صدر الإسلام طابعًا دينيًا بدل طابعها القبلي الذي كانت عليه في الجاهلية.

ويأبى العصر الأموي إلا أن يكون العصر الذهبي لهذا الفن الشعري، إذ أخذت الفرق والأحزاب السياسية المتصارعة تؤجج نار هذا الفن، إلى جانب ما خلفه العصران السابقان الجاهلي وصدر الإسلام من عوامل اجتماعية ودينية، حتى ازدهرت النقائض وبلغت ذروتها على يد شعرائها الثلاثة: الفرزدق وجرير والأخطل.

الخصائص الفنية لشعر النقائض:

تمتاز النقائض الشعرية بجملة من الخصائص، لكونها فنًا مستقلًا بذاته عن سائر الأغراض الشعرية، لكن هذه الخصائص في أغلبها تتقاطع مع كثير من الأغراض الشعرية الأخرى كالهجاء والفخر. من هذه الخصائص: [1].

[1] الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير و الفرزدق – دراسة تداولية جبارية مصطفاوي ط١، ٢٠١٦ م، الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة ، صفحة ٩٩. بتصرّف

المراوحة بين ضمائر التكلم والخطاب، وهذا ما يتطلبه حوار الذات والآخر وما يبثه من عنصر المفاعلة والمشاركة التي أشير إليها في تعريف شعر النقائض.

السير على منهجية الحِجاج واتباع آلياته، لإقناع الخصم بما يقدمه الشاعر من مفاخر ومهاجي، وإفحامه فلا يقوى على الرد عليه.

استخدام أدوات التوكيد بكثرة، لتأكيد النقاط التي يرسيها الشاعر في قصيدته. استخدام المحسنات البديعية والتشبيه دون تكلف. النقائض في معظمها قصائد قصيرة ومقطوعات.

يعلو في النقائض صوت الذات الذي يستخدمه الشاعر للفوز بالمناظرة ، حيث يسعى الشاعر لاكتساح خصمه وإثبات ذاته من خلال شعره.

يعلو في النقائض حس السخرية والاستهزاء. كثيرًا ما يلجأ الشعراء إلى الشتم والقذف والسباب المقذع، فتحوي أشعارهم ألفاظًا نابية.

ويدرج بعض النقاد هذا اللون من الشعر تحت الخصومات الأدبية ، ويسميه بالنقائض الفردية " لأن الشاعر فيه مشغول بنفسه ومنافسه من الشعراء أكثر مما هو مشغول بقبيلته وبمن ينافسها " (١) .

وأصارت النقيضة " لا تحوي فخرا وهجاء فحسب كما كان الشأن في القديم بل أخذت في بعض قصائدها على الأقل تحوي مديحا وسياسة عصرية ، ويقدم الشاعر لذلك ببكاء الأطلال ووصف رحلته في

(١) تاريخ الشعر العربي في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية ، عبد العزيز الكفراوي ، (١/ ١٩٠).

الصحراء"(١) واشتهر هذا اللون من الشعر في العصر الأموي استنادا إلى عوامل اجتماعية تتمثل في تطور العصر ودخول ألوان الحضارة فيه وشيوع الترف والفراغ الذي ساعد على التفاف الجماهير حول الشعراء ، وأسباب سياسية تتلخص في رغبة الخلفاء الأمويين في إلهاء العامة عن السياسة بإثارة النزعات العصبية بين القبائل وإحياء العداوات القديمة ، هذا إلى جانب التطور العقلي للشعراء الأمويين نتيجة شيوع الثقافات المختلفة وكذلك اشتهار علم المنطق وعلم الكلام.(٢)

وللنقائض قيمة فنية تتجلى في تلك النظرة الكلية للقصيدة المغايرة للنظرة الجزئية المتعارف عليها والتي تعي أهدافها وتقف على نقاط القوة ونقاط الضعف ثم تعيد إنتاج أخرى مغايرة لها تقابل الأولى وتحاول أن تتفوق فيها ، وكانت الرغبة في التفوق تحث الشعراء على الإجادة فيبحثون عن دوافع التفوق ويجيدون في القصيد، كما أنها قصائد تجمع بين الفكر والعاطفة لأنها "**تحتاج ثقافة واسعة بتاريخ القبائل العربية في الجاهلية ، هي هجاء من ناحية وهي تاريخ من ناحية ثانية ، والشاعر يثقف نفسه أعمق ما يكون التثقيف بهذا التاريخ** " [٣] ويفيد القارئ في عصره وفيما بعد عصره .

لذلك يعد هذا اللون من الشعر الضابط الذي يحكم به على الشاعر بالإجادة أو غيرها فهو من مقاييس نقد الشعر .

---

(١) التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، (١٧٢)

(٢) ينظر ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، (١٧٢ ــ٢٠٦) .

(٣) السابق ، (١٧٢).

ثانيا : الشاعران:

١ــ " الفرزدق " (٢٠ ــ ١١٤هـ = ٦٤٢ ــ ٧٣٢ م)

هو أبوفراس " همام بن غالب بن صعصعة ، من مجاشع بن دارم بن تميم.

و" الفرزدق " من فرع من بني تميم، و عرف جده "صعصعة" بأنه محيي الموؤدات لأنه كان في الجاهلية يفدي كل فتاة يبلغ إليه أن أهلها يريدون أن يئدوها من فقر.

وكان والده " غالب" يحيا حياة بدوية و يملك إبلا وأنعاما كثيرة ، و لما بنيت البصرة عام ١٤هـ نزل جنوبها، و اشتهر هناك بكرمه .

وأم " الفرزدق " هي لبنة بنت قرظة الضبية ، و جدته لأبيه " ليلي بنت حابس " .

ولد الفرزدق في كاظمة نحو سنة ٢٠هـ = ٦٤٢ م في خلافة " عمر بن الخطاب " ، و نشأ هنالك نشأة بدوية ، و " الفرزدق" ([1]) لقب له لغلظ وجهه و شبهه بالرغيف .

لم يتصل الفرزدق " بأحد من الخلفاء قبل " الإمام علي بن أبي طالب " فعندما بدأ ينظم الشعر ، حملة أبوه إلى الإمام " علي " في البصرة نحو سنة ٣٦ هـ = ٦٥٧ م ، وعمره يوم ذلك نحو خمسة عشر عاما، و جعله ينشد أمامه شيئا من شعره ، و يقال : إن الإمام " علي " نصحه يوم ذاك أن يحفظ القرآن ، و إن ذلك يعني شيئين اثنين .

[1] ــ الفرزدق ــ تعريب للكلمة الفارسية " برازده " و معناها خبز و رغيف .

أولهما ــ إن شعر" الفرزدق " جيد ، فيحسن تثقيفه بلغة القرآن .

وثانيهما ــ إن شعره رديء ، فيجب أن يترك قــول الشــعر ويشــتغل بالقرآن فذلك أعود عليه.

وعلي كل: فإن " الفرزدق عمل بنصيحة الإمام " علي " وقيد نفسه بقيد من حديد و لم ينزعه إلا بعد أن حفظ القرآن فيما يروى ، وقــد أثــرت شخصية الإمام في الشاعر الناشيء تأثيرا عميقا.

نشأ " الفرزدق " علي حب آل البيت و علي الاعتقاد بحقهم في الخلافة ولكن كان أحيانا يتظاهر بغير ما يعتقد حرصا علي أن يتكسب من غيــر آل البيت أيضا ، و كانت حياة " الفرزدق " الشخصية حافلــة بالقصــف والمغامرات ، و خصوصا في ولاية يزيد بن أبيه علي البصــرة ســنة " ٤٥ــ ٥٣ هــ " ، والفرزدق يوم ذاك في عنفوان شبابه.

وبعد استشهاد الحسين " ٦١هــ = ٦٨٠م " ومقتل عبد الله بن الزبيــر " سنة ٧٣هــ ، كان العلويون قد خسروا جاههم السياسي ، و خسروا معه أموالهم التي كانوا يجيزون منها الشعراء ، فانضم "الفرزدق " إلى شعراء الأمويين تكسبا لا اعتقادا . "

و" الفرزدق " شاعر مقتدر ألفاظه جزلة كثيرة الغريب هذه الألفاظ تبلغ في ديوان " الفرزدق " نحو أربعين ألفا ، حتى قيل : لولا " الفرزدق " لذهب ثلث اللغة ، و قيل : ثلثاها ، و تراكيب " الفرزدق " متينة شديدة الأســر إلي حد أنها تميل إلى التعقيد .

أما معانيه : فهي كثيرة متنوعة ، لأن الفرزدق " من الشعراء الذين قالوا في كل باب من أبواب الشعر غير أن في معانيه شيئا من الغموض فــي

بعض الأحيان، و كان في طبع " الفرزدق " جفاء حمل إلي شعره شيئا من الخشونة و الصلابة ، و شعره مطولات و مقطعات و هو ذو بديهة ، ولقد جعله نفر من الرواة و النقاد شبيها " بزهير بن أبي سلمي "

ومع كثرة الفنون التي قال فيها ، فإن فضله الأول في الفخر و هو أحسن شعراء العصر الأموي فخرا . ، و كانت وفاته في سنة ١١٤ هـ = ٧٣٢م [١].

٢ـ " جرير " (٣٠ ـ ١١٤ هـ = ٦٥٠ ـ ٧٣٢ م)

هو جرير بن عطية الخطفي ، وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة من تميم .

ولد "جرير" "خديجا" [٢] لسبعة أشهر باليمامة سنة ٣٠ هـ = ٦٥٠ م ونشأ فقيرا يرعي إبل قومه .

بدأ "جرير " نظم الشعر في مطلع حياته رجزا منذ المهاجاة بين غسان بن ذهيل و بني الخطفي في أيام معاوية ، ثم إن "جريرا" مدح " يزيد بن معاوية " وأخذ منه جائزة ، كان أول جائزة نالها من خليفة، وبعد هذا عاد إلى اليمامة .

ولما اشتد النزاع بين بني أمية و " عبد الله بن الزبير " ، وقف "جرير" في صفوف القيسيين من أنصار "ابن الزبير" يهاجم اليمنيين أنصار بني أمية ،

---

[١] – الأغاني ـ أبو فرج الأصفهاني ـ ٩/ ٣٤٤٤ ـ ت / إبراهيم الإبياري ـ دار الشعب سنة ١٩٦٩ م، الفرزدق ـ خليل مردم ـ دمشق ـ مكتبة عرفة ـ سنة ١٩٣٩ م٤ .

[٢] الخديج و الخديجة : الولد الذي يولد قبل تمام مدة الحمل (الأقل ٢٨٣ يوما)

ثم انحدر "جرير" من اليمامة إلي البصرة " مركز الحركة السياسية و ميدان شعراء المناقضات و ذلك في أثناء ولاية " بشر بن مروان " على الكوفة (٧١ هـ ــ ٧٤هـ) ثم اتصل " جرير " بالحكم بن أيوب ، ابن عم الحجاج و زوج ابنته و عامله على البصرة آواخر سنة ٧٥ هـ ، فوجهه "الحجاج " إلى " عبد الملك بن مروان " وكان عبد الملك لا يستمع إلى شعراء القيسيين ، ولكن توصية الحجاج بجرير أقنعت "عبد الملك " .

وظل " جرير" أثيرا عند "الوليد بن عبد الملك "، ولكنه هجر البلاط الأموي في خلافة " سليمان بن عبد الملك " (٩٦ ــ ٩٩ هـ) وفي أيام " عمر بن العزيز " (٩٩ ــ ١٠١ هـ) ، لأن جريرا كان قد حض الوليد علي صرف الخلافة عن أخيه "سليمان" إلى ابنه " عبد العزيز بن الوليد "، ثم لأن " عمر بن عبد العزيز" لم يكن يجيز الشعراء غير أن جريرا عاد لمدح " يزيد بن عبد الملك " (١٠١ ــ١٢٥ هـ) .

و"جرير" شاعر وجداني مطبوع يجمع وضوح المعاني إلى فصاحة الألفاظ ومتانة التركيب ، وعذوبة السبك ، وشعره من السيرورة على الألسن شديد العلوق بالذاكرة ، مطاوع للغناء ، وامتاز "جرير" بالفنون الوجدانية: النسيب و الغزل و الهجاء

ولجرير براعة في المديح و الوصف ، وكان يجيد الرجز أيضا .

وهجاء جرير حلو مر بما ألبسه شاعره من حسن اللفظ وقدم بين يديه من الغزل ليجعل السامع أكثر استعدادا لسماعه ، وهو مر أيضا حامض يتألم منه المهجو .

والإجماع واقع على أن " جريرا" فاق أقرانه في الغزل والرثاء والهجاء ، وأنه قد تغلب علي الذين هاجوه ثم أخمل ذكرهما أيضا .

وكانت وفاة "جرير" باليمامة سنة ١١٤هـ أو سنة ١١٥ هـ بعد وفاة " الفرزدق " بستة أشهر ، أو بعام واحد . [١]

[١] ديوان جرير ـ ت /عبد الله اسماعيل الصاوي ص ١٠ ـ المكتبة التجارية ـ مصر ـ سنة ١٩٧٥ م ـ ص٥.
نقائض جرير والفرزدق ـ ليون سنة ١٩١٢ م ص ٤٠ . الأغاني ـ ٥٦٩٢/١٦.

الفصل الثاني

الخصائص الموضوعية والفنية

ينبغي بنا قبل الموازنة المفصلة بين القصيدتين في عناصر الشعر المختلفة للوقوف على الخصائص الموضوعية والفنية أن نتعرف على طبيعة المهاجاة بين الشاعرين من حيث النشأة والتطور، وأن نورد أبيات القصيدتين، والمعنى العام لكل منهما.

١- المهاجاة بين الفرزدق وجرير:

تزوج " تميم بن علاثة " وهو رجل من بني سليط " بكرة بنت مليص من بني كليب ، وقد اتفق يوما أن ضربها فشجها ، فلقيه أخوها فلامه فوقع بينهما لحاء ، فضرب أخو بكرة فشجه ، فهجا "عطيه بن الخطفي" "والد جرير" تميما ، لأن بكرة كانت من بني كليب قوم عطيه وبعد زمن تجاوز بنو جحيش من بني سليط (أقارب تميم بن علاثة) وبنو الخطفي (أقارب جرير) في غرير بالقاع فتنازعوا .٠١٠٠٦٢٥٤٣٧٣.

فجعل بنو الخطفي يهجونهم ، وكان بنو جحيش لا يقولون الشعر ، فاستعانوا " بغسان بن ذهيل بن سليط " ، فهجا بني الخطفي .

علم "جرير" ولم يكن قد قال الشعر بعد ، فانتصر لأهله وهجا "غسان بن ذهيل " برجز هو أول ما قاله من الشعر ..... ولحم الهجاء بين جرير والفرزدق ....ثم إن " البعيث" جعل يعين "غسان" على جرير ، فأخذ "جرير" يهجو البعيث ، ولما أعان "الفرزدق" "البعيث" انقلب جرير إلى الفرزدق يهجوه .

٢- القصيدتان:

▲ قصيدة " الفرزدق "

أقُولُ لِصَاحبَيّ مِــن التّعَــزّي، وَقَــدْ نَكّــبْنَ أكْثِبَــةَ العُقَــارِ ([1])

أعِينَاني عَلَــى زَفَــرَاتِ قَلْــبٍ، يَحِنّ بِــرَامَتَينِ إلــى النَّــوَارِ([2])

إذا ذُكِرَتْ نَــوَارُ لَــهُ اسْــتَهَلّتْ مَدامِعُ مُسْبِلِ العَبَــرَاتِ جَــارِ([3])

فَلَمْ أرَ مِثْلَ مــا قَطَعَــتْ إلَيْنَــا مِن الظُّلَمِ الحَنادِسِ وَالصّحارِي ([4])

تَخُوضُ فُرُوجَــهُ حَتــى أتَتْنَــا عَلَى بُعْدِ المُنَاخِ مِــنَ المَــزَارِ ([5])

وَكَيْفَ وِصَالُ مُنقَطِــعٍ طَرِيــدٍ يَغُورُ مَعَ النّجومِ إلى المَغَــارِ ([6])

---

[1] التعزي : يقال تعزى فلان تصبر ، نكّبن بتشديد الكاف :عدلن عنها و تركنها ناحية، أكثبة : جمع كثيب وهو الرمل المتطير، والعقار كل ملك ثابت كــالأرض والــدار، و المراد هنا : أرض لباهلة وهي بين اليمامة وعقيق بني كعب .

[2] زفرات : الزفر: إخراج النفس بعد مدهو هو خلاف الشهيق ،و يقال زفرت النــار، إذا سمع لاتقادها صوتا ، الرامتان مثني رامة وهي موضع بالبادية ،والنــوار : زوج الشاعر .

[3] استهلت : قطرت قطرا له صوت من شدة دفعه ، مسبل : أسبلت العين سال دمهــا، العبرات : جمع عبرة وهي دمعة

[4] الحنادس : ليال شديدة الظلمة ، و ليال حنادس

[5] فروجة : طرقة ، يريد طرقة ما قطعت إلينا ، المزار : هو موضعه الذى شــخص وخرج منه ويكون الموضع الذي يزوره .

[6] يغور مع النجوم: أي وجهته إلي الشام ناحية المغرب ، والغور مكان بالشام .

كَسَعْتُ ابنَ المَرَاغَةِ حِينَ وَلّـى إلـى شَـرّ القَبَائِـلِ وَالـدّيَارِ([1])

إلى أهْلِ المَضَايقِ مِـنْ كُلَيْـبٍ كِلابٍ تَحْـتَ أخْبِيَـةٍ صِـغَارِ([2])

ألا قَـبَحَ الإلَـهُ بَنـي كُلَيْـبٍ، ذَوِي الحُمُرَاتِ وَالعَمَدِ القِصَـارِ([3])

نِسَاءٌ بِالمَضَـايقِ مَـا يُـوَارِي مَخَـازِيَهُنّ مُنْتَقَـبُ الخِمَـارِ ([4])

و مـا أبكـارهن بثيبـات ولدن من البعول ولا عـذارى ([5])

ولَوْ تُرْمى بِلُـؤمِ بَنـي كُلَيْـبٍ نجوم الليل مـا وضـحت لسـار

ولَوْ لَبِسَ النّهـارَ بَنُـو كُلَيْـبٍ لَـدَنّسَ لُـؤمُهُمْ وَضَـحَ النّهـارِ

وَمَا يَغْدُو عَزِيـزُ بَنـي كُلَيْـبٍ لِيَطْلُـبَ حَاجَـةً إلاّ بِجَـارِ

---

[1] كسعت : الكسع أن يضرب الرجل مؤخر الرجل بصدر قدمه محقرة له .

[2] ابن المراغة : نبز ينبز به جرير ،والمراغة : الآتان لا تمتنع من الفحول ، وقيل لأن كليبا رهط جرير أصحاب تتمرغ في التراب .

[3] الحمرات : جمع حمرة وهي: خشبة تعترض بين جانبي الخيمة ، أو بين جدارين.

[4] يريد أن المرأة يواريها خمارها، وهؤلاء لا يواريهن الخمار لفجورهن، أو معناه: أنهن يبرقن للرجال

[5] البكر: الفتاة لم تتزوج ، والثيب : المتزوجة ، يقول : إن نساء بني كليب لم يلدن من الأزواج و لكن من غيرهم ، ولسن بعذارى .

بَنُــو السِّــيدِ الأشَــائِمُ للأعَــادِ نَمَوْني لِلْعُلَــى وَبَنــو ضِــرَارِ(١)

وَعَائِــذَةُ الّتــي كَانَــتْ تَمِــيمٌ تُقَــدّمُهَا لِمَحْنِيَــةِ الــذِّمَارِ(٢)

وَأصْحابُ الشّقِيقَةِ يَــوْمَ لاقَــوْا بني شَــيْبانَ بِالأسَــلِ الحِــرَارِ(٣)

وَسَــامٍ عَاقِــدٍ خَــرزَاتِ مُلْــكٍ يَقُــودُ الخَيْــلَ تَنْبِــذُ بِالمهــارِ(٤)

أنَــاخَ بِهِــمْ مُغاضَــبَةً فَلاقَــى شَعُوبَ المَوْتِ أوْ حَلَقَ الإسَــارِ(٥)

وَفَضّــلَ آلَ ضَــبّةَ كُــلَّ يَــوْمٍ وَقَــائِعُ بِــالمُجَرَّدَةِ العَــوَارِي (٦)

وَتَقْــدِيمٌ، إذا اعْتَــرَكَ المَنَايَــا، بجُرْدِ الخَيْلِ في اللُّجَجِ الغِمَــارِ (٧)

---

١ السيد : هو مالك بن عمرو بن بكر من بني ضبة، وضرار هو : ابن رديم بن مالك بن زيد بن كعب بن ذهل ، وبنو ضبة هم : أخوال الفرزدق .

٢ عائذة : بنو عائذة الذمار : كل ما ينبغي أن يحمى . ٢

٣ أصحاب الشقيقة هم : بنو ثعلبة بن سعد بن ضبة ، والشاعر يعني قتل عاصم بن خليفة الضبى بسطام بن قيس الشيباني ، و كان بسطام قد ساق إبلا كثيرة لبني ثعلبة فلحقوه ، و في مقدمتهم عاصم بن خليفة الضبي فأنقذ إبلهم و أخذوا الشيبانيين بين قتيل وأسير ، والأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، ويقول :هي عطاش لم ترو من الدم بعد .

٤عاقد خزرات ملك : أي ملك عليه تاج ، و كانت الملوك تعقد في تيجانها من الخرز عدد سني مملكتها ، فكلما زادت سنة زادوا خرزة ، تنبذ بالمهار : تدفع بهم إلى العدو.

٥ شعوب الموت : يعني المنية ، حلق الإسار : يعني القيود .

٦ المجردة : السيوف تجرد من أغمادها فتتعرى

٧الجرد من الخيل ، جمع أجرد وهو : القصير الشعر

وَتَقْتِيلُ المُلُوكِ ، وَإنّ مِنْهُمْ فَوَارِسَ يَوْمَ طِخْفَةَ وَالنِّسَارِ([1])

وَإنّهُمُ هُمُ الحَامُونَ لَمّا تَوَاكَل مَنْ يَذُودُ عَنِ الذِّمَارِ([2])

وَمِنْهُمْ كانَتِ الرّؤسَاءُ قِدْماً وَهُمْ قَتَلُوا العَدُو بِكُلّ دارِ([3])

فَمَا أمْسَى لِضَبّةَ مِنْ عَدُوٍّ يَنَامُ، وَلا يُنِيمُ مِنَ الحِذَارِ

نقيضة جرير في الرد على الفرزدق "

١- سمتْ لي نظرةٌ فرأيتَ برقاً *** تهاميا فراجعني ادّكاري([4])

٢- يقول الناظرون إلى سناه*** نرى بلقا شمسْنَ على مهار([5])

٣ - لقد كذبتَ عدانك أم بشرٍ*** وقد طالت أناتي وانتظاري([6])

٤-عدلت إلى ملامتنا وتسري*** مطايانا وليلك غير سار([7])

---

[1] يوم طخفة : يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، يوم النسار: يوم لبني ضبة على تميم .

[2] تواكل : ضعف و اتكل علي غيره ، و الذمار: ما يجب على الرجل أن يحميه ويحوطه من وراء ظهره .

[3] منهم الرؤساء : يقال : إن أول من كتب الكتائب من العرب : ملحم بن سويط الضبي .

[4] التهامي: البرق الذي يخطف من جهة تهامة ، الادكار : التذكر .

[5] البلق: جمع أبلق : وهو الحصان الذي يغشاه السواد أو العكس ، الشموس : الحصان النفور المنوع للمهر .

[6] أم بشر : صاحبة الشاعر التي يتغزل بها .

[7] عجلت: من العجل وهو التسرع وعدم الأناة ، وتسري من السرى وهو :السير ليلا ، وفي المثل : عند الصباح يحمد القوم السرى .

٥- فهان عليك ما لقيت ركابي*** وسَيْري في الملمعة القفار([١])

٦- وأيام أتين على المطايا *** كأن سمومهن أجيج نار([٢])

٧- كأن على مغابنهن هجرا *** كحيل الليت أو نبعان قار([٣])

٨- لقد أمسى البعيث بدار ذل *** وما أمسى الفرزدق بالخيار([٤])

٩- جلاجل كرج وسبالُ قرد *** وزند من قفيرة غير وار ([٥])

١٠- عرفنا من قفيرة حاجبيها *** وجذا في أناملها القصار([٦])

١١- تدافعنا فقال بنو تميـــم *** كأن القرد طوح من طمار([٧])

١٢- أطامعة قيون بني عقال *** بعقبي حين فاتهم حضاري([٨])

---

[١] الملمعة القفار : الصحراء عندما يلمع فيها السراب .

[٢] أتين على المطايا : أهلكنها ، والسموم : الفم والمنخران والأذناب .

[٣] المغابن : المراق و أصول الأفخاذ ، هجرا: يريد هاجرة وذلك إذا اشتد الحـــر فـــي الهاجرة ، والكحيل : القطران ، والليت : صفحة العنق ، ونبعان : ما نبع من القار ، و هو إذا أصابه الحر غلى حتي يظهر من مواضعه ، و إذا أصابه البرد جمد .

[٤] البعيث هو : الشاعر المجاشعي الذي انتصر له الفرزدق ضد جرير

[٥] جلاجل كرج : يصفهما بالسماجة ، والجلاجل : الأجراس الصغيرة ، والكرج لعبـــة على شكل مهر يلهو بها المخنثون

[٦] جذا في أناملها : أي قطع ، يريد أن قفيرة مقطوعة الأنامل .

[٧] القرد : يريد به الفرزدق ، طوح من طمار : ألقي ورمي به من مكان عال مرتفـــع إلى أسفل فهو يهوي

[٨] قيون : جمع قين وهو العبد ، والعقب : الجري الثاني بعد الجري الأول وهو الحضار

١٣- وقد علمت بنو وقبان أني *** ضبور الوعث معتزم الخبار([١])

١٤- بيربوع فخرت وآل سعد *** فلا مجدي بلغت ولا افتخاري ([٢])

١٥- ليربوع فوارس كل يوم *** يواري شمسه رهج الغبار ([٣])

١٦- عتيبة والأحيمر وابن قيس *** وعباب وفارس ذي الخمار([٤])

١٧- ويوم بني جذيمة إذ لحقنا *** ضحى بين الشعيبة والعقار([٥])

١٨- وجوه مجاشع طليت بلؤم *** يبين في المقلد والعذار([٦])

١٩- وحالف جلد كل مجاشعي *** قميص اللؤم ليس بمستعار

---

[١] بنو وقبان : نبز ينبزبه بنو مجاشع ، والوقب : الأحمق ، ضبور ، يجمع رجليه ثم يثب وهو القبر ، الوعث : الموضع الكثير الرمل ، والخبار : الأرض الكثيرة حجرة الفأر وغيرها ، والمعني : أعتزم أجمع نفسي و أجري ثم أثب الخبار ، فأخرج منه وأجاوزه .

[٢] يربوع : عشيرة جرير التي منها بنو كليب .

[٣] رهج الغبار : هو غبار المعركة يكثر ويرتفع حتى يحجب الشمس .

[٤]عتيبة ، والأحمير وبن قيس وعتاب : فوارس من بني يربوع ، وفارس ذي الخمار:مالك بن نويرة من بني يربوع ، وذو الخمار : فرس مالك بن نويرة

[٥]الشعيبة والعقار : موضعان فيهما وقع يوم الصرائم و كان لبني يربوع على بني جذيمة بن رواحة من بني عبس ، وكان مروان بن زبناع العبسي غزا بني يربوع فأسروهم وهزموا جيشه .

[٦]المقلد : العنق وهو موضع القلادة ، والعذار : موضع العذار وهو جانب اللحية ــ اقتطعنا من القصيدة ثلاثة أبيات يصعب كتابتها حفاظا على الذوق العام ، ينظر النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، .

٢٠- لهم أدر تصوت في خصاهم *** كتصويت الجلاجل في القطار([1])

٢١- أعزكم الفرزدق من أبيكم *** وذكر مزادتين على حمار([2])

٢٢- وجدنا بيت ضبه في معد *** كبيت الضب ليس بذي سوار ([3])

٢٣- وجدناهم قنازع ملزقات *** بلا نبع نبتن ولا نضار ([4])

٢- المعنى العام

أولا: قصيدة الفرزدق:

يبدأ الشاعر نقيضته بخطاب صاحبين له يحاول بذلك أن يعزي نفسه ويصبرها على بعد محبوبته " النوار" التى بعدت الشقة بينه وبينها ، وحالت المسافات دون لقائهما واجتماعهما ، وحالت بينهما أرض يصعب السير فيها لحزونتها وشدتها ، ويأمل الشاعر من صاحبيه أن يكونا عونا له على ما يجد من لواعج الحب وقسوة النار التى ألهبت قلبه وأحرقته بزفرات نارية يسمع لها أجيج كالنار المشتعلة ، ومع ذلك كله فإنه يواصل حنينه إلى محبوبته ويتطلع إلى لقياها .

---

[1] الجلاجل: الأجراس ، والقطار : هو قطار الإبل .

[2] يروى أن الفرزدق كان واقفا في طريق فمر به حمار عليه مزادتان فزحمة فلطخ ثيابه، فقال :

وما تنفك تبصر في طريق كليبيا عليه مزادتان

فلهجت بنو مجاشع بإنشاد هذا البيت ، والمزادة : جلود يضم بعضها إلى بعض ويوضع فيها الماء

[3] الضب : حيوان صحراوي في حجم الكلب ، السواري : جمع سارية وهي العمود .

[4] القنازع : الدواهي .

وإنه يستعين على هذه الزفرات النارية بسيل من دموع عينيه لعله يطفئها ويخمد جذوتها ولكن هيهات ، فهي نار شديدة الاستعار لايستطيع دمعه الجارى أن يخمدها .

وفي خضم هذا الشوق اللاذع يسعد الشاعر بخيال محبوبته الذي زاره في نومه رغم بعد المسافة بينهما خاض طيف محبوبته في سفره إلى الشاعر رحلة طويلة في صحراء قاحلة ، وفي ليل بهيم حالك السواد شديد الظلمة ، ولكنه مازال يقطع الفروج ويخوض في الدروب حتى وصل إلى الشاعر المحب حاملا صورة محبوبته إليه فعوضه ذلك – بعض الشيء – عما يعانيه من ألم الفراق ولوعة الحب وقسوة البعاد .

ثم يتساءل الشاعر : هل لمثله أن تعود حبال الوصل بينه وبين محبوبته، وكيف يتم هذا الوصل بعد أن أضحى شريدا طريدا يتخذ من بلاد الشام مستقرا ومقاما بينما محبوبته تسكن العراق بعيدا عنه ، وذلك في الأبيات من الأول إلى السادس .

ثم ينتقل الشاعر إلى التعرض " لجرير " ، ليصب جام غضبه عليه ، فيقول : إنه اعتاد أن يلصق به كل سبة ويلحق به كل عار، لأنه ليس أهلا للتكريم والاحترام ، فهو ينتمى إلى شر القبائل وأحطها، ويسكن أقصر الديار وأضيقها ، وقومه " بنو كلاب"اسم على مسمى، فهم كلاب يعيشون في أخبية صغيرة لاتصلح لسكن الإنسان، وإنما هم – قبحهم الله – رضوا بالحياة فيها ، لأنهم لايرتقون لمستوى البشر .

ويرمى الشاعر نساء بنو كليب بالفجور ، فإن النساء يحرصن على أن يوارين وجوههن بالخمر ، فهؤلاء لا يواريهن خمار لأنهن يتصفن

بالفجور ، ويمعن الشاعر في هتك أعراض نساء بني كليب فيرمي فتياتهن بالفاحشة ، فهن لا يلدن من الأزواج ولكن من غيرهم ولسن بعذارى .

إن بني كليب أشد الناس لؤما وخسة حتى لو أصاب لؤمهم نجوم الليل لغارت ولم تضيء للسائرين في الليل، أو لتوارت خجلا وحياء ممن ينظر إليها ، ولو أن هؤلاء القوم ارتدوا من الثياب ما كان في بياض النهار ونقائه للطخوه ودنسوه بلؤمهم وخستهم ،وإنك لاتجد فيهم رجلا عالى الهمة عزيزا طامحا إلى بناء مجد أو تحصيل مكرمة من المكارم ،بل قعدت بهم هممهم عن تحصيل ذلك ، فهم لايسعون إلى أمر صعب إلا بمعونة غيرهم ومساعدتهم لهم لأنهم لم يعتادوا خوض غمار العلا ، وذلك في الأبيات من السابع إلى الرابع عشر .

ثم يفتح " الفرزدق " صفحة ثانية في مواجهة " جرير " تلك هي صفحة الفخر ،والفخر ميدان رحب بالنسبة " للفرزدق" يصول فيه ويجول لأنه ينتمي إلى أصول أكثر عراقة من أصول "جرير" . ونراه هنا يفخر بأخواله من بني " ضبة " ، فهم الجذور القوية لشجرة نسبه التي ينتمي إليها ، وكثيرا ما فخر " الفرزدق " بهذا النسب وتلك الأرومة ، وذلك كقوله:

وأنا ابن حنظلة الأغر وإننى * في آل ضبة للمعم المخول

فرعان قد بلغ السماء ذراهما * وإليهما من كل خوف يعقل (١)

وقد جعلهم الشاعر هنا شؤما على أعدائهم تمدحا بهم ، وهم الأسباب التي ربطت بينه وبين العلى ، فأخواله – من بني ضبة وبني ضرار– هم الذين رفعوه ومدوا بينه وبين المعالى نسبا إنهم مصدر القوة لتميم كلها ، فهم

حماتها والمقدمون في ملمات الأمور ، وهم أصحاب الانتصار ذائع الصيت على الشيبانيين يوم فكر زعيمهم "بسطام بن قيس الشيباني " أن يعبث ببني تميم ، فاستاق إبلهم وأغنامهم وأنعامهم ، لقد أعملوا القتل في بني شيبان حتى صدرت عنهم رماح بني تميم عطاشا إلى دمائهم .

ومنهم الملوك ذوو التيجان الذين بنوا ملكهم على أشلاء أعدائهم ، الذين يطيحون بهم من فوق صهوات الخيل المدربة ، وهم إذا غضبوا على عدوهم أسفرت غضبتهم عن أحد أمرين :

إما أن يذوق هذا العدو كأس المنية ، أو يتجرع مرارة العار في أغلال الأسر والقيد .

وكم قتلوا من ملك مشهور معلم في كثير من الأيام والحروب التي يعرفها الناس جميعا كيوم " طخفة والنساء " ، لأنهم الحامون لذمار " تميم " حين يتواكل غيرهم ويقعدون عن رد العدوان ومجابهة الأعداء .

وقد استحقوا بذلك أن يكونوا رؤساء تميم واضحين الرأي فيها ، بل في العرب جميعا ، وما زالوا يسعون إلى المجد ويجدون في بنائه حتى صار أعداؤهم جميعا على حذر منهم خشية ألا يبطشوا بهم في كل وقت من الأوقات .

ثانيا – نقيضة جرير .

يبدأ الشاعر قصيدته بذكر البرق والحبيبة والسفر . فيقول :إنني تلفت فطالعنى برق يخطف من جهة " تهامة " فأثار في جوانحي ذكريات مضت مع محبوبتي ، وهيج شوقا إليها ، ثم يصف هذا البرق بأنه كالخيل البلق التي تشمس على أمهارها وتنفر منها ، ويلتفت إلى محبوبته " أم بشر " فيقول لها :

" إنك كثيرا ما أخلفت وعدك معي مرة بعد مرة ولم تصدق في عهد أو وعد واحد منها ، في وقت طال فيه انتظاري للوفاء بأي من هذه الوعود ولكن لم يحدث ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، ولكنك تسرعت وعجلت بتوجيه اللوم إلي رغم أنني بت أقطع الليالي الطوال رغبة في مرضاتك ، وبت أنت تنامين ملء جفونك قريرة العين لاتحفلين بما أعانيه من متاعب ، إنك " أم بشر "لاتلقين بالا لما أعانيه وعانته ركائبي في سبيل الوصول إليك ، لقد تشردت وارتدت من أجلك القفار الوعرة التي يلتمع السراب على متنها ، إن مشقة الرحيل أهلكت مطاياي وأصابتها الرياح الحارة التي تخرج من فمها ومنخاريها مثل النار المتأججة ، وإن هذه المطايا قد بذلت من الجهد العظيم ما جعلها تعرق حتى صار العرق على مراقبها وأفخاذها وأعناقها يشبه القطران أو القار الأسود الغليظ ، وذلك في الأبيات من الأول إلى السابع .

ثم ينتقل الشاعر إلى هجاء خصميه"البعيث والفرزدق"فيقول:إنهما يقيمان في دار ذل وضعة ، ويمثلها بجلاجل الكرج وهي : الأجراس الصغيرة التي يلهو بها المخنثون وبسيال القرد ، ويقول :إن زند " الفرزدق " لايواري لأنه فاشل فيما ينزع إليه ، ويهجو بنى قفيزة –قوم الفرزدق–

فيصفهم بأنهم قصار الحواجب والأنامل ، ويشبه " الفرزدق " بالقرد الذى ألقي به من مكان شاهق أثر تنازعه مع "جرير " وتدافعه معه ، ثم يقول : إن " عبيد بني عقال "لم يكتفوا بما أصابهم على يد "جرير" في سباقهم معه فهم ينشدون سباقا ثانيا يصطلون فيه بناره المحرقة وهجائه المرير .

ويرى أنهم قوم يتصفون بالحمق الشديد لأنهم لايقدرون خصمهم "جريرا" حق قدره ، ولا يعرفون أنه سباق دائما ، عليم بدروب السير قدير على اجتياز المشقات ، وذلك في الأبيات من الثامن إلى الثالث عشر .

ثم ينتقل إلى الفخر بقومه " من بني يربوع " الذين بلغ مجدهم عنان السماء فهم فوق قوم " الفرزدق " مجدا وحسبا وشرفا ، فمنهم الفوارس الذين يقتحمون القتال الذي يرتفع فيه الغبار حتى يحجب الشمس ، ومنهم " عتيبة بن الحارس"" والأحيمر بن أبى مليل " ، "ومعقل بن قيس "، ومالك بن نويرة "، ويشهد التاريخ لهؤلاء جميعا بالبطولة والشجاعة .

كما يسجل لبنى يربوع أنهم أصحاب النصر في يوم " بني جذيمة " الذين انتصروا فيه على " العبسيين "فهزموهم وأسروا جيشهم ، وذلك في الأبيات من الثالث عشر إلى السابع عشر .

وفي المقطع الأخير من الثامن عشر إلى الثالث والعشرين : يعود الشاعر إلى هجاء " بني مجاشع " قوم " الفرزدق " ، ويصفهم باللؤم الذي يظهر في وجوههم وأعناقهم وخدودهم ، بل إن اللؤم يلتصق بهم التصاق الجلد بأجسامهم .

ويخاطب "بني مجاشع " بألا ينخدعوا بشاعرهم التافه الذي غرهم وألهاهم عن معالي الأمور بذكر حكايات سخيفة باطلة ، وذلك شأنه دائما

لأنه هو نفسه سخيف ، عديم النسب ، عديم الخال ، فأخواله هم " بنو ضبة " الذين يسكنون أبياتا صغيرة قصيرة لاعمد لها ، فهم يتصفون بالذلة والصغار ، وهم لايكفون عن الفحش والمنكر والبذاءة ، وهو أمر لاينزعون عنه لأنهم قوم فاقدوا الأصل لم ينبتوا من شجرة كريمة ولا من فرع عزيز .

٣- الموازنة بين القصيدتين

أولا : من حيث الموضوعات

ويقصد به دراسة الأغراض التي تضمها كل قصيدة وعلاقة ذلك بالهدف من النقائض، وسوف نتناول ذلك عند الشاعرين:

١ــ عند الفرزدق :

شكل الفرزذق البناء الموضوعي لقصيدته من ثلاثة أغراض متتالية ومرتبة هي : الغزل ويشمل الأبيات من ١ــ٦ ، والهجاء ويستغرق في الأبيات من ٧ــ١٤ ، والفخر ويتردد في الأبيات من ١٥ ــ ٢٥ ،

وهذا يعني أن الفرزدق بنى نقيضته بناء جاهليا يقوم على تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، مما يدل على أن الشاعر في هجائه ومناقضته لخصمه اللدود "جرير" لم يكن مستوفزا مشدود الأعصاب ، بل كان رخيا هادئا ، ولم يكن معجلا بل كان متريثا ، ولم يكن مبهور الأنفاس بسبب المعركة التى كان يخوضها ، بل كان هادىء النفس مستريحا، رغم كثرة الكر والفر في وعلى الرغم من ان حياة الفرزدق مع زوجته "النوار" ، كانت حياة مضطربة مائجة ، إلا أننا نراه يتغزل بها ويعلن شوقه وحنينه اليها في القسم الغزلى من القصيدة ، وأغلب الظن أنه

غير صادق في حبه لها ولا حنينه وشوقه اليها ، يؤيد ذلك أن " الفرزدق "كان يخبر " النوار " أحيانا بتفضيل غيرها عليها ، كقوله في تفضيل " حدراء " زوجه :

لعمرى لأعرابية في مظلة *تظل بروقى بيتها الريح تخفق

أحب الينا من ضناك ضفنة * إذا وضعت عنها المراويح تعرق

كريم غزال أو كدرة غائص*تكاد إذا مرت لها الأرض تشرق([1])

وهذا مما يغيظ المرأة أشد الغيظ ، وخاصة إذا كان من زوجها ، لذلك نرى " النوار " تلجأ إلى " جرير " خصم " الفرزدق " فتستعديه على زوجها في المعركة التى بينهما ، فهل بقى للحب مكان بين " الفرزدق والنوار"؟ .

إننا نفهم هذا الغزل على أنه نوع من الكيد " لجرير " الذى أراد أن يستغل " النوار " ثغرة ينفذ منها إلى طعن الفرزدق ، فأراد هو أن يسدها أمامه خاصة إذ استطاع أن يستميل قلب زوجه " النوار" فيتخذها عونا له على خصمه .

وقد استغرقت المقدمة الغزلية ستة أبيات من قصيدة يصل عدد أبياتها إلى خمسة وعشرين بيتا ، وبذلك يكون الشاعر قد حقق هدفين من وراء هذه المقدمة ، أحدهما فنى ، والآخر: موضوعى .

ومن البين أن الشاعر يسير في غزله على نهج القدماء ، فيستعين بالأصحاب على تحمل أشواق النفس وآلام القلب ومصاعب الفراق ، ويبدأ

[1] الروقى : مثنى روق ومعناه رواق البيت ، والضناك : الموثق الخلق الشديد ، الصفنة: الحمقاء الكثيرة اللحم .

بالحديث إليهما ويطلب منهما العون والمساعدة على تحمل زفرات قلبه الحارة التي تحن إلى "النوار" / محبوبته/زوجته ثم يصف دموعه المنسابة كلما ذكرت "نوار" ، ويلوم على الليالي ما يمر به من حوادث ومتاعب مؤكدا على تربص المصائب به ومطاردتها له حتى لتكاد تحيط به ولا يستطيع التخلص منها للوصول إلى غايته/النوار ، فالرحلة هنا نفسية تعادل بصورتها المعهودة تأزم الأحداث في نفسه .

فهو هنا محب واله يعنيه الصبر ، ويطلب العون فهو شخصية اجتماعية واقعية لا تخجل من طلب المساعدة في أمر كهذا ولا يتردد في البوح عما في نفسه من حب وألم فهو أيضا شخصية شجاعة وقوية ، ولا يرضى الفرزدق بصاحب واحد بل يختار صاحبين حتى يأنس بهما ويخرجانه من حالة الغربة والوحدة التي يعانيها إلى الواقع المجتمعي الذي يألفه ، فهي شخصيات مساندة داعمة لها حضور كبير حتى وإن كانت صامتة المهم أنها شاهدة على الأحداث الآنية والتالية التي ينازل فيها جريرا ، وحضورهما الصامت له دور في إعلام الآخر بما يدور ويجري في ساحة الشعر ، وهما في الواقع والخيال أيضا أكثر من مجرد اثنين محددين بل العدد مفتوح لجمهور الشعر ليشهد هذا النزال الشعري.

فالغزل عند الفرزدق وسيلة لاكتساب الصحبة ، ولتفريغ الطاقات السلبية عبر الدموع المدرارة ، ويعد هذا المقطع بآلامه التي يحاول التغلب عليها هو المطلع الذي يشعل به طاقته الشعرية لينفذ إلى الدلالات الأساسي في النقيضة ، فيشحذ لها موهبته الشعرية بهذه الإثارة المفتعلة عن طريق التذكر والحنين. والهجاء.

أما الغرض الثانى في القصيدة فهو الهجاء ، واستغرق مساحة ثمانية أبيات أى حوإلى ثلث القصيدة ، هو الغرض الأساس في القصيدة ،

وقد أجاد فيه " الفرزدق " إذ صب جام غضبه على "جرير" ، وعلى " بنى كليب " رجالا ونساء فرماهم جميعا بأفحش السباب ، وخلع عليهم أقبح الصفات الخلقية والخلقية .

وإذا كان الهجاء بين الشاعرين قد بدا قبليا صرفا ، إذ كان كل منهما ينتصر لقبيلته ، فإن السياسة ليست بمنأى عن هذه المعركة المتأرجحة ، إذ كان خلفاء بنى أمية يمدونها بالوقود اللازم لاستمرارها .

من ذلك ما يروى بأن "سليمان بن عبد الملك " حج وحج معه الشعراء، فمر بالمدينة فأتى بأسرى من الروم ، فطلب من " جرير " أن يضرب أحدهم فضربه فأبان رأسه ، ودفع إلى الفرزدقأسير فضربه ضربات فلم يغن شيئا ، فضحك " سليمان " ، وضحك الناس معه ، فقال " الفرزدق ":

أيعجب الناس أن أضحكت خيرهم * خليفة الله يستسقى به المطر
فما بنا السيف عن جبين وعن دهس * عند الإمام ولكن أخر القدر

ولو ضربت به عمدا مقلدة * لخر جثمانه ما فوقه شعر

وما يقدم نفسا قبل منيتها * جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

فهجاه " جرير " في قصيدته التى منها :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت * يداك وقالوا : محدث غير صارم

فقال " الفرزدق يجيب جريرا :

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط التمائم

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم * إذا أثقل الأعناق حمل المغارم (١)

قالوا:" إن سليمان بن عبد الملك " أوعز إلى بعض الحضور أن يدس " للفرزدق" سيفا كليلا لا يقطع " ، ولذا نعلم إلى أى حد حرص أمراء وخلفاء بنى أمية على اذكاء نار الخصومة بين الشاعرين .وإذا كانت هناك محاولة للصلح بينهما من قبل بعض الأمويين فإن ذلك لايعدو أن يكون لونا من التفكه وسبيلا إلى التسلية والضحك ، فقد دخل " جرير والفرزدق على يزيد بن عبد الملك "، فأقبل على " جرير " وقال :" مالك والفرزدق " ؟ قال: إنه يظلمنى ويبغى على ، فقال " الفرزدق" : وجدت آبائى يظلمون آباءه فسرت فيهم بسيرتهم ، فجعل يزيد يضحك ".

أما الغرض الثالث في القصيدة هو : الفخر ، واحتل مساحة أحد عشر بيتا ، وهو في معانيه غرض وثيق الصلة بالهجاء والمناقضة ، وقد كان " جرير " دون " الفرزدق " حسبا ونسبا ، وكان " الفرزدق" يشعر بكثير من الاعتزاز بهذا الحسب والنسب الذى كان يستمد منه كثيرا من معانى الفخر على " جرير" ، فجده " صعصعة " كان يلقب في الجاهلية " بمحى

الموءودات" ، ويروى "أبو الفرج" أنه اشترى دماء أربعمائة موءودة ، وأبوه "غالب"

---

[١] ينظر:الأغانى –٢١–٣٢٨ ، والشعر والشعراء –ابن قتيبة – ١–٢٧٩ .

كان يعطى دون أن يسأل ، وكان لايبارى في كرمه وجوده ، وذلك كله مناط فخر لدى العربى. كما كان أخوال " الفرزدق " مصدرا من مصادر شعوره بالاعتزاز ، ولذا كان كثير ما يفخر بهم في أشعاره كما رأينا في القصيدة التى بين أيدينا ، ولكنه لم ينس انتماءه إلى "تميم " ، وقد استغل " بنو أمية " هذا المجال للتأليب بين " الفرزدق وجرير"، ومما يرويه " أبو الفرج " في ذلك :" أن الفرزدق وجريرا وكثير وعدى بن الرقاع " اجتمعوا عند سليمان بن عبد الملك فقال: أنشدونا من فخرهم شيئا حسنا ، فبدرهم " الفرزدق " فقال :

وما قوم إذا العلماء علت * عروق الأكرمين إلى التراب

بمختلفين إن فضلتمونا * عليهم في القديم ولا غضاب

ولو رفع السحاب اليه قوما * علنا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان :لا تنطقوا فوالله ما ترك لكم مقالا " ([1])

وفي الهجاء يخرج من الخاص / هجاء جرير إلى العام / هجاء قوم جرير نساء ورجالا منددا ببعض الصفات الشكلية مثل : القصر والقبح كقوله :

ألا قبح الإله بني كليب ذوي الحمرات والعمد القصار

والصفات المعنوية وأهمها : اللؤم الذي اتكأ عليه في الهجاء ،والجبن كما في قوله:

---

[1] الأغانى-٢١-٣٢٩

[2] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٠)

ولو ترمى بلؤم بنـــي كليـــب نجوم الليل ما وضحت لسار [١]

ويعرض بالنساء تعريضا يخزي به الأعداء حين يقول:

نساء بالمضايق مـــا يـــواري مخازيهن منتقـــب الخمـــار [٢]

وينال من نسائهم ويتهمهم بما لا يرضي أصحاب المروءة وهو بذلك يسلح على عدوه بأقوى ما لديه من المعاني.

ويسرد في الأبيات من ٧ ــ١٤ معاني الهجاء المنوعة والشاملة للرجـــال والنساء في أفكار منظمة ودلالات مسددة إلى أهداف مرصودة يدرك كيف يصيبها وكيف ينتصر عليها في عدد محدود من الأبيات الشـــعرية قويـــة التركيب جيدة السبك .

* **الفخر :** ويطيل فيه ، ويأتي في الأبيات من ١٥ ــ٢٥ ويصـــل إليـــه منتهيا من المطلع المتعارف عليه وأحد الأغراض الأسياسية للنقيضة وهو الهجاء ليصل إلى الفخر وقد استوفى ما لديه من الدلالات التي تعـــرض بالآخر ليتفرغ لرفعة نفسه وإعزاز قومه ، ويفعل ذلك بقوة وثبات وثقـــة من سرد معاني الفخر ومكامنه ، ومنها : الفخر بالحسب الأصيل والنسب الشريف والعزة والقوة والمنعة والشجاعة أفرادا وقبيلة مكثرا من صـــيغ الجمع في الفخر ، ومن ذلك:

ومنهم كانـــت الرؤســـاء قـــدما وهم قتلوا العـــدو بكـــل دار [٣]

---

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٠)

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٠)

[٣] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٤)

في أسلوب خبري يقرر به واقع الحال الثابت تاريخيا لقومه في سهولة ويسر واستعلاء يليق بالمتفاخر .

وبذلك يكون البناء الموضوعي لنقيضة الفرزدق منظما ومتكاملا ومنطقيا أيضا إذ إنه يخرج من الغزل / كمقدمة تقليدية متعارف عليها إلى الهجاء ومنه إلى الفخر في تتابع لا يخفى ترابطه على القارئ ، وهو إذ يفيض في أبيات الفخر فلأنه يرى أنه أهل لذلك هو وقومه ، وأن مقامه وهو الذي ابتدأ بالنظم مقام الواثق من نفسه المعتد بقومه ، ولذلك جاءت أبيات الفخر أكثر من أبيات الهجاء لديه .

٢ ــ عند جرير :

يدور البناء الموضوعي لدى جرير حول ثلاثة أغراض أيضا هي: الغزل والهجاء والفخر مع التعاقب بين الهجاء والفخر ، فجرير يتغزل ثم يهجو ثم يفخر ثم يعود للهجاء مرة أخرى ، وما لذلك من سبب سوى حنقه وغيظه من نقيضة الفرزدق ورغبته في هزيمته والتفوق عليه ، وفيما يلي عرض للبناء الموضوعي لديه...

وجاءت قصيدة " جرير " على النسق نفسه الذى جاءت عليه قصيدة الفرزدق ، إذ بناها هو الآخر على ثلاثة أغراض هى: الغزل ، والهجاء ، والفخر ، وما كان " لجرير " أن يخرج عن هذا المنهج ويشذ عن هذا الإطار ، وهو منهج الأسلاف من شعراء الجاهلية .

أما الغزل : فهو ليس غزلا خالصا كالغزل الذى اشتهر به جرير ، وعرف بإجادته فيه ، كما عرف لنفسه السبق إلى إجادته ، إذ يقول :" لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيبا تحن منه العجوز إلى شبابها "،

وإنما يأتى ذكر الحبيبة هنا في مقدمة القصيدة على نحو تقليدى محض ، يأتى ممزوجا بذكر البرق ووصفه ، وذكر السفر والترحال وما أصاب ركائبه من عناد وتعب وكلال .

ذكر " جرير " هنا صاحبته " أم بشر " وهى واحدة من صاحبات كثيرات العدد ذكرهن " جرير " في مقدمات قصائده من أمثال :" أسماء وهند وأمامة وسلمى وأم قيس وليلى وعزة وسعاد وجعدة " وغيرهن كثيرات ، بل إن المطالع لديوانه يجده يحشد أسماء متعددة لأكثر من صاحبة ، كقوله:

" أجد رواح القوم أم لاتروح * نعم كل من يعنى بجمل مترح

إذا ابتسمت أبدت غروبا كأنها * عوارض مزن تستهل وتلمح

وأعطيت عمرا من أمامة وحكمة * وللمشترى منه امامة أربح

صحا القلب عن سلمى وقد برحت به* وما كان يلقى من تماضر أبرح

إذا سيرت أسماء يوما ظعائنا * فأسماء من تلك الظعائن أملح "([1])

ففي هذه الأبيات يذكر أسماء صاحباته :"جمل واسماء وتماضر وأمامة وسلمى وأسماء "، وهو صنيع شاعر لا يعرف للهوى طعما صحيحا ، ويخيل لقارىء ديوان "جرير" أن الشاعر يأتى بأسماء صاحباته التى يتغزل فيها حسبما يقضيه الوزن في القصيدة التى ينشئها .

وعلى الرغم من أن " الفرزدق" تغزل في مقدمة قصيدته سالفة الذكر بزوجه " النوار" ، الا أننا لانجد فرقا ظاهرا بين صنيع كل من الشاعرين

[1] الديوان – ص١٢٦-١٢٧ .

، فالمعول عليه ليس اسم المحبوبة ولا من تكون بالنسبة إلى الشاعر زوجا أو غير زوج ، وإنما العبرة بمنهج الشاعر في بناء قصيدته ، وسلوكه في غزله كله، والمعانى التى يرويها .

نقول هذا ونحن على ذكر من أن العصر الأموى شهد تطورا كبيرا في الغزل وفي إيراد المعانى الغزلية ، فقد نشأ في هذا العصر تيار جارف يمثل اتجاها جديدا في الغزل ، نعنى به

الغزل العذرى ، الذى كان له شعراء مشهرون اشتهروا به ، وكان الغزل عندهم غاية لا وسيلة وكان للقصيدة عندهم بناء آخر لانجده عند غيرهم من الشعراء الآخرين ومنهم " الفرزدق وجرير" .

إذن جاء الغزل : جاء في الأبيات من ١ ــ٧ وكان بـ "أم بشر" ويقف فيه الشاعر وحيدا يتأمل مظاهر الكون وتهيج عليه الذكريات ليحن إلى أم بشر ، ويدين صنيع العداة ، ويذكر الملامة والغياب :

لقد كذبت عداتك أم بشر وقد طالت أناتي وانتظاري [١]

ثم يصف رحلته الشاقة وما تلاقيه ركابه في سبيل الوصول إليها ، وكيف يهون كل ذلك عليها! ويبدو من المقطع أن أزمة افتعلت بينه وبين "أم بشر" وهو يأسى لهذا المصير ويعرج على تبعاته ، فهو ينطلق في غزله من أزمة مفتعلة ، وهو في المطلع قلق ومتوتر وفاقد الثقة في الآخرين ومشحون بمشاعر الغضب والحنق ومتحفز للهجاء الذي يصل إليه في الأبيات التالية ...

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

واما الهجاء في القصيدة : فنجد جريرا " ينهض به كما نهض الفرزدق " أيضا ، نعنى انه دار في أسر المعانى التى ذكرها " الفـرزدق" ، فنجـده وسم الفرزدق بالذل ، وقرن معه في تلـك الصـفة " البعيـث الشـاعر المجاشعى " ، كما حاول أن يلصق به صفة الفشـل عـن ادراك معـإلى الأمور ، كما توجه إلى قوم الفرزدق " من بنى مجاشع " ليخلـع علـيهم صفة اللؤم والخسة.

تماما كما فعل " الفرزدق " مع "بنى كليب " قوم "جرير" ، " وبنو مجاشع " في نظر " جرير " قوم قصار القامات تقـتحمهم العيـون وتـزدريهم ، يسكنون بيوتا لاتقوم على أعمدة كبيوت الضب .

لم يخرج " جرير " في نقضه لقصيدة " الفرزدق " عن الإطـار الفكـرى الذى عند خصمه ، فالصفات هى هى حسية كانت أو معنويـة ، وهـذه الصفات وتلك المعانى تدور بكثرة في نقائض كل من الشاعرين .

ويأتى " الفخر " عند " جرير " على نحو ما هو موجود عند الفرزدق " ، فهو يفخر بقومه من " يربوع وآل سعد " ، ويدعى أنه يفوق " الفرزدق " في فخره ومجده ، رغم أن " الفرزدق" يفوقه حسبا ونسبا كما هو ثابـت تاريخيا .

ولكن الشاعر يقول ما يروق له حتى وإن خالف الحق ودابـر الواقـع ا لثابت ، إنها معركة شرسة دارت رحاها بين الشاعرين الكبيرين وعلـى كل منهما أن ينشد النصر فيها بآية وسيلة من الوسائل ، وبأى سلاح مـن الأسلحة .

غير أن الملحوظ . ان نفس " جرير " في الفخر – في هذه القصيدة – لم يكن طويلا ، فسرعان ما يخرج من ليعود إلى الهجاء مرة أخرى ، بعد أن درج فيه أربعة أبيات فقط ، فهل يرجع قصر نفسه هنا إلى أنه لم يكن يجد في قومه مآثر تؤثر فتذكر ، وإن قومه " قوم غفل كما يروى كاتب مقدمة ديوانه .([1])

وبدأ جرير بالهجاء الغرض الأساس للنقيضة وختم به ، فشغل من القصيدة مساحة كبيرة جاءت في الأبيات من ١٤ ـــ١٧ والأبيات ١٨ ـــ٢٦ بعدد ١٣ بيتا ، وهو بذلك يتفوق في الكم على الفرزدق الذي جاءت أبيات الهجاء لديه ثمانية فقط .

ويدور في نفس المعاني التي رددها الفرزدق سابقا ، فيعيب الصفات الشكلية كقوله :

عرفنا من قفيرة حاجبيها وجذا في أناملها القصار [٢]

ومن الصفات المعنوية يرد اللؤم في نحر الفرزدق حين يقول :

وجوه مجاشع طليت بلؤم يبين في المقلد والعذار [٣]

جعل اللؤم طلاء لبني مجاشع يظهر في الأماكن البارزة من وجوههم كأنها علامة تقلد أعناقهم وتميزهم ويعرفون بها إمعانا في إسناد اللؤم لهم ودمجه بهم حتى اختلط بهم وأصبح مرئيا للجميع في صورة ناطقة بوضوح المعنى وتجسيمه وتكبيره .

---

[١] انظر – مقدمة ديوان جرير – ص١٢.

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[٣] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٢)

ولكنه يفيض في الهجاء ، ويخرج من أبواب الحياء إلى نقيضه ليثير دلالات يستحيي الباحث من عرضها والتعرض إليها قاصدا السبق على الفرزدق بالفحش في القول والتجاوز عن الآداب العامة بما لا يليق باللغة الشعرية والمعاني الأدبية ، وإن كان صنيعه ذلك يهتك به ستر الفرزدق وقومه إلا إنه يصعب مهمة القراءة والتفسير على الناقد الذي لا يجد مسوغا لهذا التجاوز في الشعر . ويأتى " الفخر " عند " جرير " على نحو ما هو موجود عند الفرزدق " ، فهو يفخر بقومه من " يربوع وآل سعد " ، ويدعى أنه يفوق " الفرزدق " في فخره ومجده ، رغم أن " الفرزدق" يفوقه حسبا ونسبا كما هو ثابت تاريخيا .

ولكن الشاعر يقول ما يروق له حتى وإن خالف الحق ودابر الواقع ا لثابت ، إنها معركة شرسة دارت رحاها بين الشاعرين الكبيرين وعلى كل منهما أن ينشد النصر فيها بآية وسيلة من الوسائل ، وبأى سلاح من الأسلحة .

غير أن الملحوظ . ان نفس " جرير " في الفخر – في هذه القصيدة – لم يكن طويلا ، فسرعان ما يخرج من ليعود إلى الهجاء مرة أخرى ، بعد أن درج فيه أربعة أبيات فقط ، فهل يرجع قصر نفسه هنا إلى أنه لم يكن يجد في قومه مآثر تؤثر فتذكر ، وإن قومه " قوم غفل كما يروى كاتب مقدمة ديوانه .([1])

[1] انظر – مقدمة ديوان جرير – ص١٢.

وانشغل جرير بالهجاء عن الفخر فجاء في أربعة أبيات فقط ، ويمكن تفسير ذلك بأن الهجاء في هذا السياق هو موطن الغلبة لذلك انشغل به عن غيره ، أو لأنه يفتقد لمواطن الفخر فلا يطيل فيه .

ويفخر ببني يربوع وبعض القادة الشجعان منهم ، وبيوم لبني يربوع على أعدائهم ، ومنه قوله:

بيربوع فخرت وآل سعد فلا مجدي بلغت ولا افتخاري

وهو بذلك يقلل مواطن الفخر ويحدد دوافعه مما قد يشير إلى ضعفه فيه ، وفيما يلي جدولا يوضح البناء الموضوعي للنقيضتين

الفرزدق				جرير		
الغرض	المساحة	عدد الأبيات		الغرض	المساحة	عدد الأبيات
الغزل	١ ــ٦	٦		الغزل	١ ــ٧	٧
الهجاء	٧ ــ ١٤	٨		الهجاء	٨ ــ١٣	٦
الفخر	١٥ــ٢٥	١١		الفخر	١٤ ــ١٧	٤
				الهجاء	١٨ــ٢٦	٩

لكل صف ما يقابله ما عدا الصف الأخير ، ونخلص من هذا العرض ومن هذه القراءة الإحصائية إلى بعض الأمور ، وهي :

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

ــ أن الفرزدق يطيل في الفخر وهو أهل له ، وجرير يتزيد في الهجـــاء ويفحش فيه .

ــ تساوي الرجلين تقريبا في مساحة الغزل لديهما الأمر الذي يحدد مهمته الفنية كمطلع متعارف عليه ، وهو سبيلهما للولوج إلى النقيضة كل شاعر وأسلوبه وحسن تخلصه .

ــ يعمل المطلع الغزلي مهمته المعروفة في تهييج مشاعر الشاعر وتحفيز شاعريته.

ــ تردد جرير في ترتيب الأغراض يشعر القارئ أنـــه أمـــام شخصـــية مستثارة ومتحرقة وتتعطش لتفجير الطاقة السلبية المختزنة لديها في النيل من الآخر والتشهير به .

ــ هجاء الفرزدق هجاء فارس نبيل يلتزم الأصول والقواعد ويراعيهـــا ، وهجاء جرير بعضه فاحش يخزي القارئ والسامع ويبعد عن الأصـــول والقواعد .

من حيث البناء اوالوحدة :

تتكون القصيدة القديمة من عناصر أساس تتمثل فـــي المطلـــع والمـــتن والخاتمة ، ولخصوصية التجربة / النقائض يجدر بالدراسة الوقوف على هذه العناصر لدى الشاعرين والتعرف على ملامح الاتفـــاق والاخـــتلاف وصولا إلى الوقوف على أسباب التفوق والسبق ....

أ- عند الفرزدق :

لأنه البادئ فقد استعد ونظم أفكاره وألقى ما لديه من نص شعري معزز بما يملك من خبرة وموهبة لذلك يجيد في المطلع ويتألق في المتن ويحسن في الخاتمة ، وفيما يلي عرض لذلك ...

المطلع : يتمثل المطلع لديه في تلك المقدمة الغزلية السابقة ، ويتسم بالواقعية إذ إنه يبدأه بأسلوب خبري ، ويفتتحه بالقول ، ويخاطب حبيبته ، ويناجي صاحبيه ، فتشبع المطلع ببعض السمات الواقعية ومنها السرد واستدعاء الشخصيات والحديث النفسي الداخلي والإخبار بما لديه في سياق الشوق والحنين ، فيقول :

أقول / لصاحبي / من التعزي / وقد نكبن أكثبة العقار [١]

= فعل القول/اختلاق شخصية /سبب القول والصحبة/ربط ما سبق بمكان ثم يعلق مقول القول في البيت التالي الذي يقول فيه:

أعيناني على زفرات قلب يحن برامتين إلى النوار [٢]

في مشهد واقعي يفسر ويجذب ويعلق ويعلل أسباب حزنه ، ويفصل دواعي ألمه ، فيفتتح القصيدة بأسلوب شائق وهادف ، وكأن هذه الصحبة التي استدعاها لتسري عنه هي نفسها المطلوبة لتشهد على هجاء جرير وفخره عليه ، فأجاد في المطلع بهذه الأنساق الفنية الهادفة .

---

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

٢ــ المتن :

أما متن القصيدة الذي يركز فيه على الهجاء والفخر فقد أحسن الــتخلص من الغزل إلى الهجاء بوصف حالة الطريد من حب النــوار والمطــارد بالحزن والألم الذي يقطع الفيافي بحثا عن العزاء والفرج ، وهو في خضم هذا الجو الصاخب من المشاعر السلبية الحزينة يجد وسيلة لتفريغها فــي الهجاء ، فيصب جام غضبه على جرير قولا يؤطر أفعالا ساخرة

ويوظف اللغة المناسبة ويختار "**المفردات القادرة على الإيحاء والتــأثير بعيدا عن معناها المعجمي الفردي لتبعث دلالات وإشارات متعددة** " [١] ، وكما بدأ القصيدة بالقول المعبر بدأ المتن بالفعل المناسب للسياق ، فقال:

كسعت ابن المراغة حين ولى إلى شر القبائــل والــديار [٢]

فاختار الفعل "كسعت" بصيغته الماضية الدالة على تحقق وقوع الفعــل ، ومعناه المعجمي الذي يجمع بين دلالة الفعل وصفته ، فالكســع : نــوع خاص من الضرب يصيب مؤخرة الرجل على سبيل التحقير والاستهزاء بخاصة حينما خاطبه بابن المراغة إمعانا في إذلاله والتحقير منــه ومــن والدته ، وجمع فيه بين هجاء جرير وهجاء والدته وهجاء قبيلته حينما رده إليها خائبا وهو حسير واصما إياها بشر القبائل لإيوائها إياه وأمثاله ، ثم أخذ يفصل أسباب هجائه لقبيلة جرير حين قال :

---

[١] شعر السجن في العصر الأموي دراسة فنية ، علاء الدين محمد الأســطى، الآداب، ٢٠١٤م، (ص: ١٥٠).

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٠)

إلى أهل المضايق مـــن كليـــب كلاب تحت أخبيـــة صـــغار [١]

فخرج من هجاء جرير إلى هجاء قومه بصورة منطقية متسلسلة تنم عن عقل واع يدبر لكل فئة ما يناسبها من التعريض والذم وصولا إلى الفخر الذي أطال فيه ، وبدأه بصيغة الجمع مـــع تصـــدير الصـــفات الجامعـــة للمحاسن ، فيقول :

بنو السيد الأشـــائم للأعـــادي نموني للعلا وبنـــو ضـــرار [٢]

ثم ينتقل من العام إلى الخاص ، وينص على بعـــض الأفـــراد بالأســـماء موظفا معجم الأعلام لديه باحترافية شاعر خبير ليضفي على قومه هالات مضاءة بالشجاعة والعزة والشموخ والنصر ...

٣ ــ الخاتمة :

كانت جزءا من موضوع الفخر وجاءت على اختصارها عامـــة وشـــافية ووافية وجامعة لمعاني الفخر السابقة فقال فيها :

فما أمسى لضبة مـــن عـــدو ينام ولا ينيم مـــن الحـــذار [٣]

القوة الغاشمة من أهم ما يفتخر به العربي وقتئذ لذلك اتكأ عليها الفرزدق ونوع في معانيها وأسبابها ، وجعلها الوشم الثابت على أكف سادات القبيلة ورجالها بأسلوب تقريري مائز ينفي وجود عدو ينعم في ظل وجود قومه بالأمان ، واختار وقت المساء /وقت السكون والراحة والطمأنية والخوف

---

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٠)

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[٣] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٤)

من المجهول لينفي فيه الراحة عمن يناطح قبيلته ، فالقبيلة مهابة في الليل قبل النهار ، وبنى البيت على النفي العام في الشطر الأول / عدم وجود عدو ، ثم أسس عليه الاحتراز الدقيق في الشطر الثاني الذي يؤكد فيه على خوف الأعداء وعدم استقرارهم ، وهم يحذرون من قوم الفرزدق خوفا ورهبة وخنوعا وضعفا ، فقدم للقارئ دلالات متداخلة ترضي طموحه المتطلع لتتبع المعاني وملاحقة الدلالات المؤججة بالانفعالات المتداخلة كما يرضي طموحه وعزة نفسه بهذا الختام القوي المدوي في الأسماع .

والبناء الفني للقصيدة لديه يقوم على دعائم فنية وفكرية تعمل على تمازج الأفكار مع الانفعالات النفسية الصادقة لتطرز نسيج القصيدة بدعائم تجمع أوشاجها وتخرجها كلا متجانسا ومتكاملا .

ب – عند جرير:

يمثل المطلع لديه ذلك المقطع الغزلي السابق ، ويلاحظ أنه يميل إلى الخيال أكثر من الواقع ، فيبدأ القصيدة بمشهد درامي يقول فيه :

سمت لي نظرة فرأيت برقا تهاميا فراجعني ادكاري [1]

يقول الناظرون إلى سناه نرى بلقا شمسن على مهار [2]

هي نظرة المتأمل الباحث عن معادل موضوعي لحالته ليناجيه ويشكو إليه همه ووجده في هذا البرق الصاعق الذي يظهر ويختفي ، ويثير حالة من الرعب لكل من يراه ، والأبيات يغلفها الإيحاء ، فكأن جرير هو ذلك

[1] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[2] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

البرق الخاطف ، وله من المهابة والضياء الساطع مـــا يبهـــر النـــاظرين ويبهتهم ويخوفهم ويجعلهم يتحاشون مجرد النظر إليه ، وفي البيت الثاني تعزيز لذلك المعادل الموضوعي / البرق لشخصية الشـــاعر ، وللمطلـــع دلالات رمزية ترسم صورة مستعلية لجرير ضد غريمـــه /الفـــرزدق إذ يوحي بأنه لا يمكن مجاراته لأنه سيصيبه عجز ونصب كما يصيب البرق الإنسان ، فكأن جريرا بعدما استمع لقصيدة الفرزدق نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر وقال ما من شأنه أن يرفع قيمته ومكانته ، واستعان بتلك النظرة المتأملة لتكون وسيلته للوصول إلى ما ينشده من دلالات ، ومـــن هذا المنطلق يعد المطلع موفقا في سياقه ، ثم يبدأ بذكر "أم بشـــر" ومـــا بينهما من ملامة مع وصف رحلته في الوصول إليها وما يلاقيه من عنت ومشقة وصولا إلى متن القصيدة .

٢ ــ المتن :

بدأه بالتعريض بالبعيث والفرزدق معا وحشرهما مساء في دار ذل دائمة ، ثم بدأ يعدد صور الهجاء المقذعة ، فيقول :

جلاجل كـــرّج وســـبال قـــرد وزند من قفيرة غيـــر وارٍ [١]

بثلاث صفات مجموعة في بيت واحد لكل صفة أبعاد دلاليـــة ومعنويـــة مغايرة لما تليها ليلصق بالمخاطب صفات منفرة تحمل إيحاء بالســـماجة والضعف والهوان وقلة الحيلة.

وينتقل من الهجاء إلى الفخر ثم يعود إلى الهجاء ، ويحشد بعض الصور الفنية بلغة قوية تتنوع بين الخبر والإنشاء موزعة على حقول دلالية يغلب

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

عليها توظيف الأعلام وأسماء الأماكن ليسطر لمن يريد ما يناسبه من وجهة نظره .

٣ ــ الخاتمة :

تحمل الخاتمة لدى جرير من الدلالات المنفرة ما لا يمكن عرضه فضلا عن شرحه وتفسيره ، فقد انساق خلف الرغبة في رد النقيضة وصولا إلى التجاوز بما لا يمكن قبوله من شاعر عربي مسلم تمثل الأخلاق لديه ركيزة من ركائز الدين وقيمة من قيم المجتمع ، فكأنه لم يجد ما يبز به الفرزدق سوى بالتجاوز إلى ما لا يمكن مجاراته فيه من معان خادشة للحياء تؤثر على الذوق العام ، وقد يظن في نفسه أنه تفوق على الفرزدق وهو كذلك ولكن في القول الفاحش البذيء الذي يستعصي على صاحب الخلق الرفيع والمكانة السامقة وإلا فأي وضيع يمكنه ذلك بأقل مجهود ، وعليه فالخاتمة مناسبة لغرض النقيضة ولكنها مجاوزة لحدود الآداب العامة التي لا يمكن قبولها في مجال الشعر والأدب .

▲ ▲وخلاصة هذا العرض :

ــ أن الفرزدق كان أكثر واقعية من جرير في المطلع إذ بدا شخصية اجتماعية تميل إلى استصحاب الأصدقاء ومشاركتهم الانفعالات النفسية .

ــ من سمات واقعية الفرزدق اختيار الشخصية / النوار وهي معروفة لدى القارئ لذلك فهو لا يداري ولا ينكر شوقه لها وحنينه إليها ، وهذه جرأة تحسب للشاعر .

ــ ينازل الفرزدق في النقيضة غريمه بشرف يترفع فيه عن السقطات اللغوية والتعبيرية والدلالية بل يبارزه مبارزة الفرسان ، وهذا لا يعني أنه

لم ينل من غريمه بل نال منه وعرض بالنساء تعريضا قويا يصعب تقبله من أي إنسان غيور ولكن بلغة بعيدة عن الابتذال .

ــ كان الثبات سمة من سمات الفرزدق الذي أحسن الابتداء وأجاد البنـــاء دون تردي أو تردد .

ــ انشغل جرير في بداية القصيدة بالتدبر والأناة لاختيار المطلع المناسب واقترب المقطع من التأمل ، وافتراض حبكة شبه قصصـــية تجـــوز لـــه الدخول إلى عالم القصيد ، فمال في المقدمة إلى اصطناع موقف للحكـــي والتأمل ، فالمقدمة تميل إلى الاستدعاء ، ويغلب عليها التأمل ، وتهـــدف إلى المجاراة في التقليد والرغبة في التفوق على المقلد .

ــ يبدو أن جرير لم تكن لديه الجاهزية للحديث عن المرأة فكنـــى عمـــن يخاطب بأم بشر ، ولا يعلم على وجه اليقين إن كانت شخصية حقيقية أم لا بخلاف المرأة عند الفرزدق ، ويمكن توجيه هذه النزعة إلـــى رغبـــة العربي في الحفاظ على أنثاه من التشهير وشدة غيرته عليها ، ولكنه فـــي مقابل القصيدة السابقة هناك فارق كبير بين اختيار امرأة معروفة وأخرى مجهولة .

ــ حافظ الفرزدق على منطقية التدرج البنائي في قصيدته على مســـتوى الشكل والمضمون.

ــ أفضى التوتر بجرير إلى زعزعة البناء الموضوعي لقصيدته .

ــ الخاتمة عند الفرزدق نتيجة منطقية لقصيدته ، وعند جرير مصـــنوعة للنيل من الفرزدق وقومه ــ يستخدم جرير الوسائل الممكنة وغير الممكنة للتفوق على الفرزدق وأوقعه ذلك في خاتمة مرفوضة ذوقيا وأدبيا .

من حيث التعبير والتصوير

١ ــ اللغة:

بالنظر إلى اللغة الموظفة في القصيدتين نجدها مرتبطة بالفن الشعري / النقائض ارتباطا وثيقا حيث وظف الشاعران الحقول الدلالية الشائعة والمتوقعة في هذا اللون الشعري مثل : أسماء الشخصيات والأماكن والأيام لعمل دمج بين أصالة الفن الشعري وبين جرأة النقائض وتحولاتها على وجه يمنح المغايرة والتباين للقصيدتين .

▲▲ **اللغة عند الفرزدق** : من حيث الحقول الدلالية فللأسماء والشخصيات نصيب كبير منها إذ وظفها الشاعر ١٤ مرة في القصيدة وفق الحاجة الفنية إليها وهو في مقام الفخر أو هجاء قوم جرير ، وآثر الاتكاء على اسم / بني كليب يكرره على المستوى الرأسي في أكثر من بيت ليكون تيمة يسدد بها وإليها معانيه فيقول :

ولو لبس النهار بني كليب لدنس لؤمهم وضح النهار [١]

وما يغدو عزيز بني كليب ليطلب حاجة إلا بجار

كرر "بني كليب " خمس مرات في القصيدة ، ويهدف إلى الربط بينهم وبين ما يريد تقديمه من معنى على وجه التأكيد والتحديد والحصر ، وكأنهم هم المنوط بهم هذه الدلالات دون سواهم ، فكأنه يأخذ من البيت السابق إلى ما يليه مع زيادة تسليط الضوء عليهم في أسلوب يشبه اللقطات السينمائية التي تأخذ نفس المقطع من زوايا متعددة ثم تقربه في كل مرة للمشاهد لتظهر زوايا مختلفة ويبرز تفاصيل متنوعة ، وبذلك

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

يجيد الشاعر في النيل من أعدائه بهذه اللغة الفنية "**التي استطاع من خلالها أن يجعل الألفاظ منبعا لهذا الفيض من النغم وأحسن التعرف على مقاطع الكلام وما يجب السكوت عنه** " [١].

كما وظف بعض الأسماء الأخرى مثل : النوار ، آل ضبة ، ابن المراغة ، تميم وغيرها ، وجاءت متفرقة وقارة في موضعها ويستدعيها السياق بحيث لا يجد القارئ ثقلا في ظلالها على النص بحيث تأتي في سياق التدليل على ما يقول .

ومال الفرزدق إلى اختيار المفردات القوية كقوله :

إذا ذكرت نوار لـه استهلت مدامع مسبل العبرات جار [٢]

يصف شدة دموعه بالفعل "استهلت" الذي يجمع بين وقوع الفعل / نزول الدموع وبين صفة هذا الفعل / القوة وشدة وقع الدموع ، إذ يقال : استهلت : قطرت قطرا له صوت من شدة وقعه ، فنقل الفعل من الحقيقة إإلى المجاز للمبالغة في سكب الدموع على حبيبته بخاصة مع خاصية تضعيف الفعل ، وبذلك ينقل صورة مشاهدة ومسموعة لحاله.

كما كان دقيقا في اختيار المفردات كما في قوله :

كسعت ابن المراغة حين ولى إلى شر القبائل والديار [٣]

---

[١] دراسة في البلاغة والشعر ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ١٩٩١م ، (ص:١٦٠).

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[٣] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

فآثر الفعل الماضي " كسعت" عن مرادفاته مثل ضربت أو لكمت أو غيره لأنه يعبر عن نوع خاص من الضرب وهو أن يضرب الرجل مؤخرة الرجل بصدر قدمه محقرة له، فيوحي بالفعل ودلالاته وصورته وأبعاده على المخاطب ، وبذلك يوفق في توظيف المفردة الدقيقة في سياقها .

ووظف الفرزدق الزمن بنوعيه الماضي والمضارع ، فاستخدم ٣٧ فعلا كان نصيب الفعل الماضي ١٩ فعلا والمضارع ١٨ فعلا ، وبذلك يحدث توازنا بين الزمن الحاضر والماضي ، فلم يمل إلى اجترار الماضي والاتكاء عليه بل كان واقعيا في تعاطيه مع الزمن والقدرة على التلاعب به لصالح النص ، ونتيجة لما سبق يلاحظ أن القصيدة يغلب عليها الأسلوب الخبري إذ إنها بإزاء تسطير حقائق ماضية وحاضرة فلا مجال للأسلوب الإنشائي فيها.

▲ ▲اللغة عند جرير :

بالنسبة للحقول الدلالية أكثر جرير من توظيف أسماء الأعلام لتتماش مع رغبته في حشد الأعلام لتقوية نغمة الفخر في أسلوب جزل أدار به اللغة " **على وجه يخرج ثراءها وصورها وألحانها وشجونها**"[١] ، وقدم ذلك على المستوى الأفقي مثل قوله :

ليربوع فوارس كل يوم يواري شمسه رهج الغبار [٢]

عتيبة والأحيمر وابن قيس وعتاب وفارس ذي الخمار

---

[١] دراسة في البلاغة والشعر ، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ١٩٩١م ، (ص:٢٤٤)

[٢] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨١)

ولم يهمل الإيقاع الموسيقي حين وظف هذه الأسماء متراصة ومتتالية بل نضدها بأسلوب محترف وخبير في نظم الشعر بأسلوب التفصيل بعد الإجمال لينمي توقعات القارئ .

وأكثر من توظيف الأسماء وكرر بعضا منها فيميل إلى التدليل على ما يقول وكأنه في مقام إثبات الذات لأحقيتها بالفخر ، وقد يفهم من ذلك أن ثقته في نفسه متزعزعة بعض الشيء لذلك يميل إلى تأكيدها بما يثبتها بعكس الفرزدق الذي مال إلى توظيف ضمائر الجمع العائدة على قومة دون الحاجة إلى التفصيل والاستقصاء وكأنهم معروفون لا يحتاج إلى التعريف بهم لذلك يغلب على شخصية الفرزدق الثبات وتميل شخصية جرير إلى التردد .

وبالنسبة للأفعال فقد اعتمد جرير على استخدام ٣٦ فعلا جاءت كالتالي : الماضي ٢٦ فعلا ، والمضارع ٩ أفعال ، والأمر فعل واحد ، وهو بذلك يؤثر توظيف الزمن الماضي بإطاره الثابت ودلالاته الصارمة للفخر والهجاء ، فيجتر ماضيه للفخر أكثر من حاضره ، ثم يهجو في إطار الزمن الماضي ليضع دلالاته داخل إطار زمني لا يمكن تخطيه ، ويثبت به المعاني ويؤكد عليها ، ويغلب على القصيدة الأسلوب الخبري وتميل إلى السردية ، وبذلك يظهر أن الفرزدق متوازن في توظيف الأسماء والأفعال وأن جريرا له أبعاد نفسية في الإكثار من الأسماء والميل إلى الفعل الماضي لتأتي قصيدته كرد فعل لقصيدة الفرزدق يحاول مجاراته والتفوق عليه وهو يتردد بين الأمرين حتى يخرج عن السيطرة في الأبيات الأخيرة ...

٢ ــ الصورة :

تميزت القصيدتين ببعض المشاهد الداعمة لرؤية كل شاعر في سياق المعاني المطروحة ...

▲عند الفرزدق :

يقل التصوير عند الفرزدق لأنه المبتدر للقصيدة وكان هدفه الإخبار والتقرير لذا أكثر من سرد أمور مؤكدة بلغة شعرية تميل إلى الواقعية المعززة بآليات فنية متنوعة ، وإذا أراد التصوير جاء به لخدمة خاصتي التأكيد والتقرير الذي يلح عليهما مثل قوله :

وأصحاب الشقيقة يوم لاقوا بني شيبان بالأسل الحرار [١]

وسام عاقد خرزات ملك يقود الخيل تنبذ بالمهار

يعرض صورة واقعية مشاهدة لحقائق تاريخية ثابتة لفرسان يخوضون غمار الحرب بشجاعة وهم أسيادها لا يشغلهم حرها وسعيرها عن الظهور بالصورة المناسبة والمميزة لهم كرؤساء يرتدون ما يميزهم ، فوسد الأمر إلى أهله ، وألبسهم ما يليق بهم حتى في مواقف الشدة في الحروب ، فقدم لهم صورة مؤطرة بالمهابة والجلالة وكأن هذا المشهد وحده كافيا ليفت في عضد الأعداء بصورة واقعية تجمع لقطات من الواقع وتؤطرها في سياق يمنحها الحيوية والوهج الفني مبتعدا عن التصوير الخيالي المبني على المبالغة وإعمال العقل في سياق لا يحتاج إلى التدبر بقدر ما يحتاج إلى الوضوح والمكاشفة .

[١] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

▲ عند جرير :

يتلاعب جرير في تركيب الصور بخاصة عند هجاء الفرزدق ، ويعتمد على الصورة الساخرة التي تشبه في تركيبها الصور الكاريكاتورية ، ومنها قوله :

لقد أمسى البعيث بدار ذل وما أمسى الفرزدق بالخيار [1]

جلاجل كرج وسبال قرد وزند من قفيرة غير وار

يحدد جرير الزمن / وقت المساء ويؤطر به الصورة ليضفي ظلاما دامغا عليها وتنتقل آثاره إلى ما بعدها ، فالفرزدق مجرد خيال/ لعبة بها أجراس يلعب بها المخنثون ، أو قرد سبال مكروه الهيئة لا يجيد سوى القفز والتأرجح بالإضافة إلى الصورة المكروهة وعدم النفعية ، ويجمع أجزاء الصورة عن طريق التشبيه منزوع الأداة ، وهي لقطات مختلفة تقدم مشاهد ساخرة تثير الدهشة لدى المتلقي موفرا لها الصوت / جلاجل ، والحركة /القرد ، واللون / المساء ، والإطار النفسي العام الذي يخرجها كلا متجانسا.

ومن الصور عنده قوله :

وحالف جلد كل مجاشعي قميص اللؤم ليس بمستعار [2]

شخص اللؤم وجعله مائزا يراه المعاين في جسد كل مجاشعي بعدما أصبح جلده مطليا به ، فألبسهم به لباس الخزي في الحياة الدنيا مؤكدا ذلك

[1] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٠)

[2] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٨٢)

بالاحتراز في قوله "ليس بمستعار" حتى لا يتوهم أحد أنه ينفك عنهم أو يصاب بهم غيرهم فهو موقوف عليهم مخلوط بهم .

وهو في كل فرصة وعند كل منعطف يلجأ إلى الصورة ويختار لها المفردات المناسبة وهي عنده سهلة تتميز بالوضوح والسلاسة وتبتعد عن الغموض والتعقيد [١] .

من حيث الموسيقى :

القصيدتان على بحر الوافر ، وروي الراء المكسورة ، وقافية المتواتر المؤسسة ، فالتزم الشاعران في تقييد القافية بما لا يلزم ، ولكنه عمق النغمة الإيقاعية في النهايات التي غالبا ما جاءت مفرداتها نتيجة للبيت كله أو خاتمة له أو معلقة عليه ، ويتميز بحر الوافر بإيقاعه الطروب إذ يرق في الشجن ، ويومض في الفرح ، ويتوهج في الفخر ، ويقوى في الهجاء، ويهدأ في الحزن ، فهو بحر مرن بطبيعته موات للعواطف المحتلفة يسهل توظيفه في العديد من التجارب حتى لو كانت متناقضة .

▲الموسيقى عند الفرزدق :

اختار الفرزدق البحر والروي وصورة القافية لأنه الذي بدأ النظم ، ولأنه واقعي ومالت لغته إلى القوة واءم بين ذلك وبين إيقاع الوافر فاختار منه الصورة التامة ، وحافظ في المجمل على سلامة التفعيلة "مفاعلتن" من الزحاف ليقوي الإيقاع فيما يشبه الدقات المتتابعة التي تؤشر على السرعة والقوة واندفاع الدلالة ، وبالحصر يتضح أن عدد تفعيلات "مفاعلتن" التامة ٧١ تفعيلة والمعصوبة ٢٨ تفعيلة ساكنة الخامس متراخية الإيقاع ،

[١] ينظر الأبيات ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ .

ومعنى ذلك أن الإيقاع لديه سريع في مجمله يتراخى حين تتطلب التجربة ذلك بدافع العاطفة المسيطرة على السياق ، فهدف الفرزدق كان واضحا وهو الغلبة والتفوق وأعمل لذلك طاقته الشعرية في اللغة والصورة والإيقاع فجاء متناسقا مع التجربة والنزعة النفسية ، وإن أصابه النشاز في موطن واحد وهو قوله :

وأنهم هم الحامون لما تواكل من يذود عن الذمار [1]

فدخل التفعيلة الأولى زحاف "العقل" / حذف الخامس المتحرك ، وهو جائز ولكنه يؤثر على إيقاع البحر المتهادي ، ويظهر جليا عند الإنشاد وكان يجدر بالشاعر تفاديه إن أعاد الصياغة ، ولكن يبدو أن تركيزه على الموضوع / الفخر كان أقوى في هذه النقطة آملا أن تعوض قوة المعنى رطانة الإيقاع ، أما ما دون ذلك فالإيقاع قوي رنان في مجمله يميل إلى الهدوء في بعض انعطافاته مع الذات أو الآخر ، فيعلي من شأن التجربة ويجيد تقديمها قراءة وإنشادا .

أما صورة القافية / المتواتر "**وهي أن يكون بين الساكنين حرف واحد (o /o/)** " [2] وهي من أشهر الصور الموظفة في القافية وساعد على اتساقها التأسيس الذي دعم به الشاعر قوة الإيقاع في القافية ليركز على نهايات الأبيات ويترك صداها مرددا في الأسماع والاذهان بخاصة مع اختيار حرف الراء كروي للقصيدة " **ويتميز بالوضوح السمعي وهذا**

---

[1] النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، (١٧٤)

[2] في عروض الشعر العربي قضايا ومناقشات ، محمد عبد المجيد ، دار غريب ، ٢٠٠٦م ، (٣٠١).

يعني أن القصيدة تحتفل بالإيقاع السمعي احتفالا غير هين " [1] وله سمة التكرير المتناغمة مع حركة الكسر الذي جاء تعميقا للنغم وزيادة في الترديد والإيقاع .

▲الموسيقى عند جرير : الوجه المميز للإيقاع عند جرير هو اعتماده بشكل كبير على الصورة المعصوبة للتفعيلة "مفاعلتن" فتكررت نحو ٤٠ مرة في مقابل التفعيلة التامة التي تكررت نحو ٦٣ مرة ، والفرق بينهما ليس كبيرا ، وتفسير ذلك أن الشاعر الثاني في المجمل يميل إلى التأني في الرد على الأول ، وتجلت سمات التدبر والأناة على جرير خاصة في المطلع لذلك أعمل زحاف العصب ليقلل من تواتر الإيقاع ويكسر تحدره بهذا السكون الداعم لمعطيات دلالية داخل القصيدة تتماوج مع تقاطعات نفسية في الغزل أو الاستهزاء بالآخر .

والحديث عن القافية وحرف الروي لا يزيد عن الحديث السابق سوى أن جريرا مال إلى توظيف بعض المفردات المتقاربة / المتجانسة في القافية مثل : (الخبار ، الخيار ، خمار ، حتار ، حمار) وكرر مفردة "الخمار" بمعان مختلفة ، والأمر يصب في تقوية الإيقاع بتشابه النغمات الداخلية وتآلفها .

وعلى كل فالإيقاع عند جرير يختلط بعاطفته المثارة فيتصاعد معها فخرا ويتراخى غزلا أو استهزاء كما يتطلب السياق ويناسب النزعة النفسية بزفراتها الحادة أو الهادئة .....

---

[1] بنية الأيقاع في الشعر العربي المعاصر ،صلاح عبد الصبور نموذجا ، صبيرة قاسي ، الآداب،(٩٢).

▲ ▲ ▲ **الخاتمة :**

▲ النقائض من فنون الشعر التي تحفز الشعراء وتثقل مواهبهم الشعرية.

▲ يمكن تسمية النقائض بالفن الضابط لأنه يحفز الشعراء على التفــوق والنبوغ فتفصل بين الشاعر والمتشاعر ، وبذلك تعد من المقاييس النقدية للشعر .

▲ لا يحكم بالتفوق في النقائض على وجه العموم لشاعر دون غيره إلا بالنظر إلى المادة الشعرية المدروسة وملابسات إلقاء القصائد ، فقد يتفوق شاعر في موقف ويتراجع في غيره .

▲ توثق النقائض صورة للمجتمع والأنساق الثقافية السائدة فيه .

▲ تقدم النقائض هنا الفرزدق كشاعر واقعي وجرير كشاعر يميل إلــى التدبر والأناة .

▲لغة النقائض مختارة بدقة بخاصة في القصيدة الثانية لأنها تقوم بمحاكاة السابقة ، فتشبه المعادلة الرياضية التي يحل بها مســائل مختلفــة ولكــن الأصل ثابت يجب موازاته.

▲ يميل شعر النقائض إلى إعمال العقل وإقامة الحجة والرد بالدليل فــي سياق شعري مائز ، فيجمع بين المتعة الفنية والعقلية .

▲يتناسب الإيقاع الإيجابي السريع طرديا مع السياق والعاطفة والنزعــة النفسية للشاعر.

المصادر والمراجع

ـ الأغاني ، أبو الفرج الأصبهاني ، ت / إبراهيم الإبياري ـ دار الشعب سنة ١٩٦٩ م

ـ بنية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر ، النظرية والتطبيق ، صلاح عبد الصبور نموذجا ، صبيرة قاسي ، مكتبة الآداب ، ط/١ ، ٢٠٠٨م.

ـ تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ،محمد عبد العزيز الكفراوي ، ج/١ ، دار نهضة مصر ، بدون تاريخ .

ـ التطور والتجديد في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ط / ١٠ ، دار المعارف .

ـ الخطاب في شعر النقائض – نقائض جرير و الفرزدق – دراسة تداولية جبارية مصطفاوي ط١، ٢٠١٦ م، الجزائر: جامعة محمد خيضر بسكرة.

ـ دراسة في البلاغة والشعر، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.

ـ ديوان الفرزدق ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٩٦٠ م .

ـ ديوان جرير ـ ت /عبد الله اسماعيل الصاوي ـ المكتبة التجارية، مصر ـ سنة ١٩٧٥ م

ـ شعر السحن في العصر الأموي دراسة فنية ، علاء الدين محمد الأسطى ، مكتبة الآداب ، ٢٠١٤م.

ـ الفرزدق ـ خليل مردم ـ دمشق ـ مكتبة عرفة ـ سنة ١٩٣٩

ـ في عروض الشعر العربي قضايا ومناقشات ، محمد عبد المجيد الطويل ، دار غريب ، ٢٠٠٦م.

ـ لسان العرب ، ابن منظور الإفريقي ، ج/ ١٤ ، دار صادر ، بيروت

ـ نقائض جرير والفرزدق ـ ليون سنة ١٩١٢ م.

ـ النقائض بين جرير والفرزدق ، أبو عبيدة ، دار الفكر العربي .